ديوان
قيس بن المُلَوَّح (مجنون ليلى)

رواية أبي بكر الوالبي

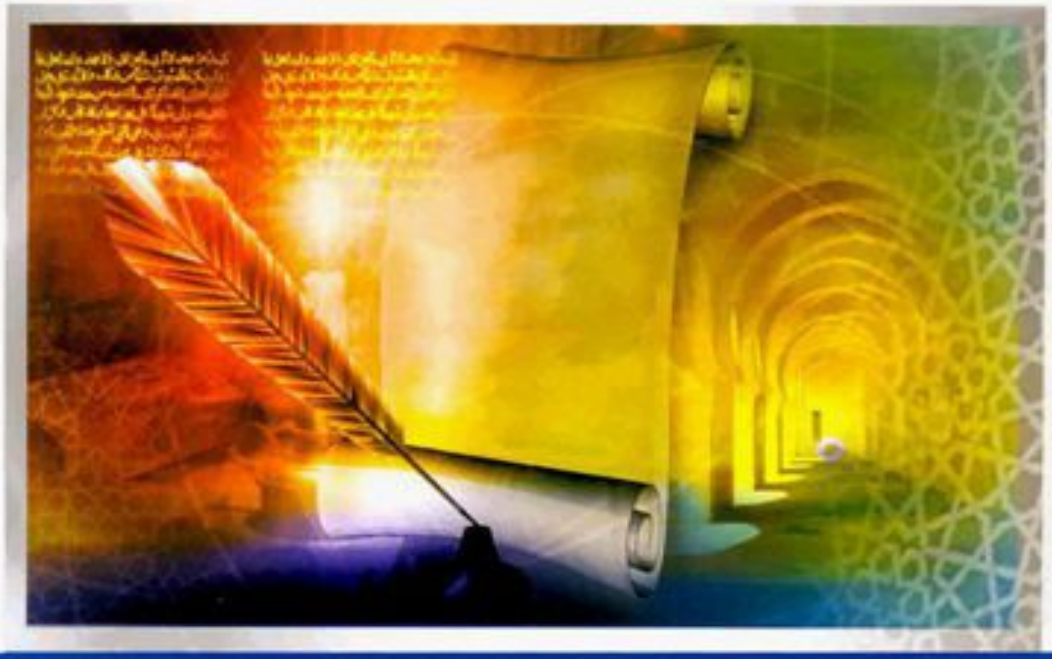

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة على بن صالح الرقمية

قيس بن الملوح

ديوان قيسَ بن المُلَوّح

مَجنونُ ليـــــلى

شـــعـــر

القرن السابع ميلادي

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

مفتتح

ولا خيرَ في الدنيا إذا أنت لم تزرْ حبيباً ولمْ يَطربْ إليك حبيبُ

(مجنون ليلى)

مدخل

- أشهر غرام في التاريخ: المجنون حقيقة بالأدلة القاطعة!!
- بين يدي ديوان مجنون ليلى
- حكاية رجل اسمه الوالبي!

أشهر غرام في التاريخ

ربما لم تشتهر قصة غرام في تاريخ أدبنا العربي كما اشتهرت قصة مجنون ليلى أو ليلى والمجنون، وربما لم تتسع صفحات مصادر الأدب والتاريخ لأخبار شاعر عربي كما اتسعت لأخبار قيس ابن الملوح (مجنون ليلى)، وربما لم تنسج ألوان مختلفة من القصص والحكايات والأساطير حول علاقة حب كما نسجت حول علاقة مجنون بني عامر بليلاه. ومن هنا فإن قصتهما كانت ولا تزال - موضوعاً من أهم الموضوعات التي احتلت مكان الصدارة من عناية الأدباء والباحثين حتى يومنا هذا.

وقيس بن الملوح أو مجنون بني عامر، كما عرف واشتهر بذلك هو واحد من شهداء الحب العذري الذين سجلوا في التاريخ أروع قصصه وأنبل عواطفه، لقد شهدت مطالع الدولة الأموية حياة قيس بن الملوح (المجنون) في حين كانت وفاته ما بين (65 هـ) أو (68 هـ).

- لقد شهد "حي بني عامر" في بوادي الحجاز العربية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة - صراعه العنيف مع تلك العاطفة المشبوبة التي ملأت عليه قلبه وحسه، واستغرقت أيامه ولياليه،

فلقد تفتح عليها قلبه وهو حدث صبي، ثم أخذت تشب معه وتتضح في أحاسيسه يوماً بعد يوم، وتستهلك عمره سنة بعد سنة، حتى قضى حياته في هيام وغربة، في حرمان ولوعة.. ثم مات وحيداً شريداً في وادٍ منعزل كسير الفؤاد، لا تدمع عليه عين ولا يخفق من أجلهِ قلب، وظل جثمانه بالعراء حتى بحث عنه أهله فوجدوه ثم حملوه إلى مثواه الأخير ليواروه التراب وهو لم يشفِ قلبه من ذلك الحب النقي الطاهر الذي عاش عمره من أجلهِ ومات في سبيله.

وثمة روايات وأخبار مختلفة تشير إلى تلك الظروف التي نبتت فيها علاقة قيس بليلى العامرية:

1 - بعضها يقول: انهما تعارفا صبيين حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة وترعرعت.

2 - وبعضها يقول: إن قيساً مرّ يوماً يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلنه السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته (دابته) وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته وأطعمهن.

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فأغضبه ذلك وقال شعراً فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكنه وجد ليلى فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنم لها مثل ما صنع مع

صويحباتها بالأمس، فأظهرت ليلى إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد، فما كان من ليلى إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكد يسمعه حتى خرّ معشياً عليه!!

3 - وتذهب بعض الروايات والأخبار إلى تصوير قيس بن الملوح بصورة حيوانية، حيث تذكر أنه كان شديد الولع بالنساء، وأن ليلى العامرية كانت من أجمل وأملح نساء حيها قاطبةً، وأن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى إليها وضم نشمه إلى مجلسها فكاك من أمره معها ما كان.

* * *

ومهما اختلفت الروايات والأخبار في تصوير الظروف التي باشرت ميلاد ذلك الحب فإنها جميعاً تتفق على شيء واحد هو إثبات حب قيس لليلى، وأن قيساً شخصية حقيقية موجودة بالفعل، وكذلك ليلى العامرية شخصية حقيقية موجودة.

ولكن الاختلاف في الأخبار والروايات التي قرأنا مضمونها في كتب الأدب يتضح في أطوار تلك القصة وظروفها ولعل ذلك هو الذي دعا بعض الباحثين إلى الحذر في تصديقها؛ بل قد دعاهم إلى إنكارها والتشكيك فيها.

ولعل من أبرز الأسماء التي تطالعنا في هذا الصدد زعيم الشك العربي الاستاذ الدكتور/ طه حسين (رَحِمَهُ اللهُ)، فلقد كان للمنهج الذي اتبعه في معالجة الأدب العربي القديم وهو منهج الشك أثر بالغ الخطورة في النتائج التي انتهى إليها في بحثه لقصة مجنون ليلى وغيره من شعراء الغزل العذري الذين ترددت اسماؤهم في هذا المجال من أمثال: جميل بن معمر (جميل بثينة)، وقيس بن ذريح (قيس لبنى)، وعروة بن حزام (عروة عفراء)، ونحن لا نعترض على منهج الشك الديكارتي في ذاته فهو منهج قديم تقتضيه ضرورة البحث العلمي السليم الذي يهدف إلى الوعول إلى الحقيقة العلمية في جوٍّ من الطمأنينة واليقين العلمي، ولكن الذي نعترض عليه هو الطريقة التي اتبعها الدكتور/ طه في تطبيق هذا المنهج إزاء هذه القصة قصة ليلى والمجنون بوجهٍ خاص.

فالدكتور/ طه حسين يقول بالآتي:

1 - يشك شكاً أكيداً في شخصية مجنون ليلى، بل لا يكاد يصدق أنها شخصية حقيقية عاشت كل تلك الظروف التي صورتها أخباره وأشعاره.

وأعتقد ما وصل إليه د. طه نتيجة خطيرة ما نحسب أن سنده فيها يضاهي قدرها من الخطورة فهو يستند في إثبات ما وصول

إليه إلى أمورٍ وربما كان من السهل أن نردها أو على الأقل نضعف من قوتها.

2 - الدكتور طه يقول (مثلاً): إن الرواة لم يتفقوا على اسمه.

3 - الدكتور طه يقول: الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي زخرت بها حياته.

4 - ويقول: لم يتفقوا على وجوده كلية.

ونقول بدورنا:

أ - إن الرواة لم يتفقوا على اسمه فتلك ظاهرة نصادفها كثيراً جداً وبخاصة بعض الأعلام التاريخية والأدبية التي لم يشك أحد في وجودها حتى الدكتور/ طه ومنهجه الشكي، فمثلًا الصحابي الجليل: أبو ذر الغفاري - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - ، روي اسمه مرة على انه جندب بن جنادة، ومرة على أنه جندب بن عبد الملك، ومرة على أنه بَرْبَر، وأخرى على انه بُربر... إلخ

وكذلك الأحنف بن قيس المشهور بالحلم والصفح وأحد زعماء بني تميم العرب روي اسمه مرة على أنه الضحاك، ومرة على أنه صخر، ومرة على أنه الحارث..

وكذلك أعشى تغلب: ذلك الشاعر المشهور روي اسمه مرة على أنه عمرو بن الأهيم أو الأهم، ومرة على انه عمرو بن الأيهم، ومرة على انه عمير بن الأيهم، ومرة على أنه ربيعة بن

بخوان، ومع هذا الاختلاف الكبير فإننا لم نشك على الإطلاق من الناحية التاريخية في أن هؤلاء الاعلام أشخاص حقيقيون يرتبطون بأحداثٍ وبتاريخ واضح ومشهور لنا جميعاً.

ب - إن الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي تنسج خيوط قصة ليلى والمجنون فما نحسب أن هذا يدفعنا بأي حالٍ من الأحوال إلى انكار وجود قيس بن الملوح كلية، وإنما المعقول أن يدفعنا إلى تمييز هذه الأحداث والنظر فيها جيداً وإبطال ما يجنح منها إلى التطرف والمبالغة، ثم ربطها بالشاعر المنسوبة إليه وذلك حتى تتضح لنا بالمقارنة والاستنتاج ملامح الشخصية المعقولة التي تتضافر الأخبار والأشعار معاً على إثباتها.

ج - أما الحكم بإنكار شخصية لمجرد الاختلاف في تصوير الأحداث التي عاشتها تلك الشخصية فهذا في رأينا نوع من الإسراف في تطبيق هذا المنهج الذي التزمه عميدنا الدكتور/ طه حسين ومن تابعه من (الطحاسنة).

د - أما أن الرواة لم يتفقوا على وجوده، فنحن نرى أنه ما دمنا سنعتمد في هذه الناحية على جانب الرواية فإن عدد الرواة الذين نفوا وجود مجنون ليلى أو شكوا في وجوده لا يقاس كثرة ولا صدقاً بعدد الرواة الذين رووا أخبار قيس بن الملوح، وأكدوا وجوده، وإذا كان الدكتور/ طه حسين يقلل من الثقة في الرواة

الذين رووا أخبار قيس فإنه بكفي أن نذكر له طائفة من الرواة الذين عرفوا بالثقة الكاملة من أمثال:

- يونس النحوي.
- أبي عمرو الشيباني.
- محمد بن السائب الكلبي.
- هشام بن محمد الكلبي.
- الأصمعي.
- أبي عبيدة.
- الهيثم بن عدي.

وكل هؤلاء إما معاصر لمجنون ليلى العامرية أو متأخر عنه بقليل.. ولقد أراد الدكتور/ طه حسين بعد ذلك أن يعضد رأيه بطريقة أخرى قال إنها طريقة فتية ليست من التاريخ في شيء.

تلك هي الاحتكام إلى شعر المجنون، فإن ذلك الشعر على ما قال الدكتور/ طه سيثبت أحد شيئين.

1 - إما أنه مصنوع، متكلف، اخترع اختراعاً، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، ولا عن حب صحيح.

2 - وإما أنه قد صدر عن أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة سهواً أو عمداً وأضافوه إلى شاعر واحد هو مجنون ليلى.

ولسنا ندري في حقيقة الأمر ما الذي يقصده استاذنا/ طه حسين بهذه الطريقة الفتية؟ وما العلاقة بين هذين الاستنتاجين اللذين أشار إليهما من أن الشعر الذي نسب إلى المجنون إما مصنوع متكلف، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، وإما أنه قد صدر عن أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة ونسبوه إلى مجنون ليلى - وهل هو في هذه الحالة الأخيرة يكون غير متكلف ولا مصنوع؟! وهل هو في الحالة الأولى سلم من عبث الرواة وخلطهم، فهو إذن لشاعر واحد!!

إنه على الرغم من عدم وضوح تلك الطريقة فهي فيما يعدو لنا تتضمن من كلا الاستنتاجين إثبات شخص نسب إليه ذلك الشعر، فهو في الاستنتاج الأول يفرض أن ذلك الشعر لشاعر واحد ولم يزيف عليه يشيء. ولكنه متكلف لا يدل على عاطفة!!

ونحن نسأل: من يكون هذا الشاعر الواحد الذي صدر عنه ذلك الشعر....

والدكتور/ طه في الاستنتاج الثاني يفرض أن ذلك الشعر قد صدر عن أشخاص كثيرين ثم خلط بينه الرواة وأضافوه إلى المجنون.. ونحن نسأل هنا أيضاً: أليس هذا العمل من قبل الرواة دليلاً على وجود شخصية حقيقية للمجنون ينسبون إليها ذلك الشعر ومع هذا كله فإن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمدنا

بالدليل، الصادق على وجود شخصية حقيقية للمجنون إلى جانب الرواية هو شعره - وهو الافتراض الثالث الذي أغفله طه حسين.

إن الذي يقرأ شعر المجنون قراءة عميقة فحواها الاستبطان والتأمل الدقيق للحالات النفسية التي يصفها كشاعر ويعبر عنها ليحس احساساً لا يخامره شك بأن ذلك الشعر العاطفي الرقيق معبر عن عاطفة صادقة مشبوبة، وبأنه مرتبط بمواقف نفسية مفعمة بالحرارة والصدق وبأنه التجربة التي يصدر عنها تجربة معاناة حقيقية ومكابدة وحرمان، تجربة عنيفة قاسية لا بد أن تفيض بذلك الشعر الصادق الذي يصف حدودها وأبعادها ويصور كافة أحداثها ومواقفها.

إن ديوان الشعر الذي ينسب لمجنون ليلى حين نقرأه نحس بأننا أمام شعر يوحي للوهلة الأولى بصدق العاطفة وعمق التجربة، ولا يمكن أن يوحي بأي حالٍ ـمن الأحوال بزيف أو افتعال، وأن الذي قال هذا الشعر لم يعانِ تجربة حب حقيقية وعميقة وعنيفة أيضاً.

والدكتور/ طه حسين يقول: إننا لا نستطيع أن نجد للمجنون شخصية ظاهرة بينة في هذه الأشعار الكثيرة المختلفة التي يرويها له أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني وغيره من الرواة...

وهذه القضية وإن صدقت على غير المجنون من الشعراء العذريين فإنه لا يمكن أن تصدق على مجنون ليلى، ذلك لأننا لم نجد شاعراً تتضح شخصيته وتبرز معالم تجربته في شعره كما نجدها عند المجنون.

والذين يشتغلون بالدراسات النفسية أو الذين يميلون إلى جانب النقد النفسي يستطيعون أن يكتشفوا بيسر الروابط المتينة بين شعر مجنون ليلى وشخصيته على ضوء ما تصور لنا هذه الشخصية الأخبار والروايات، فشعر المجنون يعبر عن رغباته الكامنة في اللاشعور وهو يعكس بجلاء صوراً صادقة من نفسه التي أرهقتها آلام الوجد ومرارة الحرمان، وكما يعكس الناحية النفسية فهو يمثل لنا - أي شعر المجنون - شخصية واضحة مستقلة يمكن لنا أن نميزها بسهولة ووضوح.

ومع ذلك كله فإننا نلتمس العذر لأستاذنا الدكتور طه حسين (رَحِمَهُ اللهُ) فيما ذهب إليه من شك وإن كنا لا نوافقه عليه، أما ذلك العذر فمرده إلى ذلك الخلط الواضح الذي يصادفه من تعقّب أخبار هؤلاء الشعراء وأشعارهم.

فإننا نجد أحياناً أخباراً في قصة جميل/ بثينة مرسومة في قصة مجنون ليلى، ونجد أبياتاً برمتها من شعر جميل بثينة مرسومة في قصيدة للمجنون أو لعروة بن حزام هكذا.

وهذه الظاهرة من غير شك تتطلب قدراً من الحذر والحيطة في النظر إلى هذه الأخبار والأشعار وإن كان هذا لا ينبغي أن يقودنا جملة إلى إنكارها أو الشك فيها.

وفي ضوء هذه المناقشة السابقة حول وجود مجنون ليلى يمكن أن نقول إننا بصدد شخصية حقيقية عاشت حياتها في عناء ومكابدة صادقة عميقة، وانفقت عمرها في شتات وغربة، تستعذب الآلام في سبيل عاطفة نقية سامية تتسامى عن مألوف العلاقات البشرية وتتميز عنها بالطهر والتحرر من أغلال الشهوة والتعفف عن كل ما مِنْ شأنه أن يزري بالقيم الرفيعة التي طبعت هذه العلاقة بطابع مثالي تتجلى فيه قدرة النفس البشرية على الفكاك من عبودية الجسد، والسمو بالعاطفة إلى مستوى لا يكون للقاء الجسد فيه مكان.

فلم أر مثلينا خليلي صبابة ... أشد على رغم الأعادي تصافيا

خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى ... خليلين إلا يرجوان تلاقيا

وأني لاستحييك أن تعرض المنى ... بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا

بين يدي الديوان

هذا الديوان الذي بين أيدينا ديوان في الغزل العذري، وهو ذلك الغزل النقي الطاهر الذي ينسب إلى قبيلة بني عذرة العربية، إحدى قبائل قضاعة التي كانت تنزل منطقة وادي القرى شمالي الحجاز، ذلك أن فتيانها تميزوا بذلك الشعر حتى أطلق عليه أو على شعرٍ عفيف يقتصر على شدة العواطف، لا تدنسه أي لذات حسية في وصف المحبوبة[1].

بعد ذلك انتشر ذلك الشعر ولم يقتصر على بني عذرة، بل امتد إلى قبائل نجد والحجاز؛ وخاصة بني عامر.

● ويُرْجع استاذنا الدكتور/ شوقي ضيف انتشار الشعو العذري بين تلك القبائل البدوية إلى الآتي:

أ - الطبيعة البدوية الصافية التي جاء الاسلام فرفعها ولطفها ونقاها.

ب - بُعْد تلك القبائل العربية عن ترف المدن وتحللها ومجتمعاتها الماجنة اللاهية.

● ويبالغ استاذنا الدكتور/ زكي مبارك فيلحق هذا الشعر بشعر التصوف ويحشر المجنون وأمثاله في زمرة المتصوفين!...

ومهما كان الأمر فقد ذاعٍ وانتشر الشعر العذري وتناقلته الأفواه في أوائل عهد الدولة الأموية، فكان تنفيساً للمسلمين عن جو النزاعات السياسية والمؤامرات والدسائس، أو تكفيراً عن مجتمعات الشراب واللهو والمجون والشعراء الماجنين أمثال: عمر بن أبي ربيعة[2] والأحوص[3] وغيرهما... ومن أشهر شعراء الغزل العفيف:

- قيس بن ذريح ومعشوقته لبني الخزاعية.
- جميل بن مَعْمَر، ومعشوقته بثينة[4].
- راوية جميل كثيرِّ ومعشوقته عزة.
- عروة بن حزام وصاحبته عفراء.
- الصمّة القشيري وابنة عمه ريّا.
- عبد الرحمن الجشمي وهو من نساك مكة، وعشق سلامة حتى سماها الناس سلامة القس. وكذلك ظهر شعر لمعشوقات يتغزلن بمعشوقيهن أو يبكين فقدهن مثل ليلى الأخيلية وشعرها في توبة بن الحمير..

● إذن فشعر الغزل كان حقيقة واقعة لا جدال فيها، وكان أصحابه أشخاصاً حقيقيين لم ينسجهم خيال الرواة، ولكن الذي لا

شك فيه أنه لفرط شعبية ذلك اللون من الشعر وكثرة تناول الألسن له نسج حوله ما ليس منه من روايات وعقد وصراعات مزعومة ونسب إلى شعرائِه ما لم يقولوه لحبك القصة.

بل يذهب بعض مؤرخي الأدب العربي والشعر إلى أن بعض شعراء ذلك اللون الشعري لم يوجدوا على الإطلاق فصاحب (الأغاني) أبو الفرج الأصفهاني ينسب إلى الأصمعي قوله:

"رجلان ما عُرِفا في الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر وابن القريّة".

وينسب إلى ابن الكلبي قوله:

"حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى أبنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون، وقال ألاشعار التي يرويها الناس له ونسبها إليه".

وللرد على هؤلاء أحيل القارئ المفضال إلى ها كتبناه آنفاً تحت عنوان (دفاعاً عن المجنون!!).

والآن هيا بنا - عزيزي القارئ - نلتقي مع أبي محمده عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) 467/2 ليعرفنا بالمجنون أو قيس بن معاذ، ويقال قيس بن الملوح، أحد بني

جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة.

ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه.

وكان الأصمعي يقول:

لم يكن مجنوناً، ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حيةٍ. وهو من أشعر الناس، على أنهم قد نحلوه شعراً رقيقاً يشبه شعره، **كقول أبي صخر الهذلي: -**

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

● **وكقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة:**

بينما نحن من بلاكث بالقا ... عِ سِراعاً والعيسُ تهوي هويا

ويواصل ابن قتيبة حديثه فيقول إن المجنون وليلى صاحبته كانا يرعيان البهم وهما صبيان، فعلقها علاقة الصبا ثم نشأ المجنون وكان يجلس معها ويتحدث في ناسٍ من قومه، وكان ظريفاً جميلًا، راوية للأشعار، حلو الحديث، فكانت تعرض عنه وتقبل على غيره بالحديث، حتى شق ذلك عليه، وعرفته منه، فأقبلت عليه.

ثم تمادى به الأمر، حتى ذهب عقله، وهام مع الوحش، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقه، ولا يعقل شيئاً إلا تذكر له ليلى، فإذا

ذكرت ثاب وتحدث عنها لا يسقط حرفاً. فسعى عليهم نوفل بن مساحق (تابعي، وكان قاضياً على المدينة، وتوفي أيام عبد الملك بن مروان عام 74 هـ وكان من أشراف قريش)، فنزل مجمعاً من تلك المجامع، فرآه عرياناً يلعب بالتراب، فكساه ثوباً، فقال له قائل: وهل تدري من هذا أصلحك الله؟ قال لا. قال: هذا المجنون (قيس بن الملوح) ما يلبس الثياب ولا يريدها، فدعاه به فكلمه، فجعل يجيبه عن غير ما يكلمه، فقالوا له: إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلى وسله عن حبه لها، ففعل، فأقبل عليه المجنون يحدثه بحديثها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال: نعم، وسينتهي بي ما إلى ذلك سبيل!!

قال: انطلق معي حتى أقدم بك عليها فأخطب لك وأرغب لك في المهر قال: أفتراك فاعلاً؟؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: على أن أفعل بك ذلك، فارتحل معه، ودعا له بثياب فلبسها المجنون، وراح معه كأصح أصحابه، يحدثه وينشده، فبلغ ذلك قومها فتلقوه بالسلاح وقالوا له: والله يا بن مساحق، لا يدخل المجنون منزلنا أبداً أو نموت!! وقد هدر السلطان دمه (الخليفة)، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، قال المجنون: والله ما وفيت بالعهد، قال انصرافك أيسر (أو رجوعك أهون) علي من سفك الدماء فانصرف..

ثم يحدثنا ابن قتيبة بأمر ليلى وحبها المكتوم لقيس وسؤالها الدائم عنه كل من يمر بها وشعرها فيه.

ثم يذكر لنا ما أشار به الناس على والد المجنون بأن يخرج إلى مكة لعل الله يشفيه ولكن ذلك العلاج لم يفلح... ولا يذكر ابن قتيبة خبر موت قيس بن الملوح أو مجنون ليلى العامرية، ولكنا نفارق قيساً يهيم في الفلوات عرياناً مهزولًا زائغ النظرات.

راجع ابن قتيبة في الشعر والشعراء/ جـ 2 الصفحات من (467) إلى (477).

أما المستشرق الكبير (كارل بروكلمان) فيقول في الفصل الثالث في الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي: قيس بن الملوح مجنون بني عامر: قيل إنه توفي حوالي (70 هـ) الموافق (689 م) ص 194. ثم يأتي في ص 200 من نفس الكتاب فيقول: إن اخبار قيس ليست إلا حلقة من القصص الغرامِية التي نسجت على منوال قصة حب جميل وبثينة الحقيقية بينما قيس وليلى لم يكونا إلا من أبناء الخيال.!!![5]

ونهج طه حسين في كتابه (حديث الأربعاء) نهج المتشككين في حقيقة قيس بن الملوح، وتبعه كذلك كثير من (الطحاسنة) أنصار طه حسين وتلاميذه وكثير من مؤرخي الأدب في العصر الحديث - وقد قمنا بالرد على د. طه ومن والاه في هذا الاتجاه.

ونعود إلى بروكلمان الذي يزودنا بمصادر ديوان مجنون ليلى وهي:

- في كمبريدج البريطانية أول 428.
- لا للي التركية 1984.
- أيا صفويا التركية 3788 طبعتو 2469.
- فيض الله 1601 (برواية أبي بكر الوالبي).
- طبع ديوان المجنون في بولاق 1285 هـ.
- طبع ديوان المجنون في القاهرة 1294 هـ.
- ثم طبع في سنة 1306 هـ.
- ثم طبع في سنة 1341 هـ.

* * *

ويستطيع القارئ أن يحصل على المعلومات المتعلقة بمجنون ليلى من المصادر التالية: -

- الأغاني: 161/1، 2/ 5.
- خزانة الأدب للبغدادي 2/ 169.
- المؤتلف والمختلف للآمدي/ 188.
- معجم الشعراء للمرزباني/ 476.
- السمط/ 350.

- فوات الوفيات رقم 356.

- النسخة التي نشرها الأستاذ المرحوم/ عبد الستار فراج لديوان مجنون ليلى.

- بروكلمان/ 199.

- الشعر والشعراء لابن قتيبة 2/ 467.

حكاية رجل اسمه "الوالبي"!!

في أوائل عام 1987 م أعاد الأخ الفاضل/ أحمد علي حسن صاحب مكتبة الآداب بالقاهرة نشر طبعة قديمة لديوان مجنون الذي جمعه ورتبه الأديب العالم أبو بكر الوالبي ولم يضف الناشر أي جديد فقد اكتفى بالتحقيق المدرس التقليدي الذي قام به الأستاذ/ عبد اللطيف علي أبو حليمة للديوان، وبالمقدمة التي كتبها لإحدى طبعات الديوان القديمة.

ولكن الجديد في طبعة الآداب القديمة أن الناشر كلف الصديق الدكتور/ عبد الرحيم يوسف الجمل المدرس بكلية التربية/ جامعة بورسعيد أن يكتب له تعريف "الوالبي" راوي ديوان المجنون وجامعه ومرتبه.

والصديق الدكتور/ الجمل كثيراً ما نتحاور معه حول بعض القضايا الأدبية والفكرية وقد حدثني في موضوع عزمه على كتابة مقدمة لديوان المجنون يعرف فيها فقط بالوالبي والوالبي اسم في ذاكرتي كثيراً ما راودتني فكرة البحث عنه والتعريف به ولكن مشاغل الحياة حالت دون ذلك.

ومرت الأيام وصدرت طبعة الآداب لديوان المجنون وبها تعريف د. الجمل بالوالبي وقد قراتها واستفدت منها في هذا التقديم.

لقد حفل تراثنا العربي الخالد بالعديد من الشخصيات التي بخلت علينا كتب التراجم بمعلومات عنهم ومن هؤلاء الوالبي.

ولا أكتم القارئ المفضال سراً إن قلت له إن التعرف على شخصية الوالبي أمر أرهقني وأعياني، كذلك البحث عن أي مؤلفات له. ولكن يمكني القول وأنا مطمئن تماماً أن جمع وترتيب ديوان المجنون هو العمل الوحيد المتواجد له وفقاً للواقع، اللهم إلا إذا جاء باحث أكثر منا كفاءة واجتهاداً ومثابرة واكتشفت ترجمة شافية للوالبي أو مؤلفات أخرى له، هنا نشكره ونمتن له لأنه فتح طريقاً جديداً كان مقفلًا أمامنا.

في الفهرست لابن النديم (ص 425) جملة من أسماء الكتب التي ألفها أصحابها في سير العشاق من بينها كتاب (مجنون ليلى)، والمعروف أن ابن النديم انتهى من تأليف الفهرست في حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وأوافق الدكتور/ الجمل في أن الكتاب الذي جمعه الوالبي هو المقصود في فهرست ابن النديم.

لأننا لم نعرف كتاباً مستقلاً عن المجنون وليلاه غيره في فترة ما قبل تأليف الفهرست.

واستاذنا المفضال (رَحِمَهُ اللهُ) عبد الستار أحمد فراج عندما جمع ديوان مجنون ليلى اعتمد على ما دونه أبو بكر الوالبي وهذا دليل على أهمية هذه الرواية إلى حد تسجيل الأشعار المشكوك في نسبتها إلى المجنون ولكنها وردت في ثنايا الكتاب.

● أما شيخنا الوالبي نفسه فقد اعتمد على روايات كثيرة نقلها في كتابه، وسنكتفي ببعضها والتي تعيننا في تحديد الفترة الزمنية التي عاشها الوالبي.

الرواية الأولى

"حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق" وأبو عمرو الشيباني كما نعلم لغوي كبير من نحاة الكوفة العراقية توفي سنة 210 هـ - وفي رواية أخرى 206 هـ.

وتدل الرواية المذكورة أن الوالبي سمع أبا عمرو ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري.

الرواية الثانية

نقلها الوالبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى سنة 225 هـ بقوله:

"حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال.... ".

ونرجح أن هذه الرواية كانت في بداية القرن الثالث الهجري.

الرواية الثالثة

عن الحسن بن سهل المتوفى سنة 236 هـ ذكر الوالبي:

قال الحسن بن سهل: أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلى العامرية".

وهذه الرواية سمعها الوالبي قبل أن يصاب الحسن بن سهل بمرض نفسي في عام 203 هـ وتوفي على إثره.

* * *

والمراجع للكتاب الذي بين أيدينا (ديوان مجنون ليلى برواية الوالبي) يلاحظ أنه يخلو من ترتيب قوافيه. ومعنى ذلك أن رواياته التي جمعها الوالبي جمعها من خلال ما توافر لديه من معلومات وروايات فجاءت الروايات السابقة متأخرة عن الروايات الأخرى، وهذه دلالة على وصولها إليه متأخرة فأوردها في كتابه حسب وصولها إليه في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري.

ولهذا نوافق الدكتور/ الجمل في خلافه مع ما ذكره الاستاذ/ عبد الستار أحمد فراج من أن الوالبي كان من رجال أواخر القرن الثاني الهجري.

فبناءً على الروايات السابقة يحق لنا أن نتوسع قليلًا ونرجح أن الوالبي كان حياً في أوائل القرن الثالث الهجري، ذلك القرن الذي كان يزخر بالعديد من الشخصيات الأدبية، وقد ضاع ذكر بعضهم ومن بينهم الوالبي نفسه.

ولكن بالبحث والتقصي وجدت الوالبي مذكوراً في كتابين.

الكتاب الأول:

كتاب الأمالي لأَبي علي القالي (الجزء الثاني/ ص 142)، "قال وأخبرني عبد الله بن خلف، قال أخبرني أحمد بن زهير، قال أخبرني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن بعض أهلهِ، عن أبي بكر الوالبي".

الكتاب الثاني:

كتاب (بسط المسامر في أخبار مجنون بني عامر/ لمحمد بن طولون الدمشقي المتوفى (953 هـ). ص 39.

"حدثنا التنوخي، حدثنا ابن حيويه، حدثنا ابن المرزبان، حدثنا محمد بن خلف، أخبرني أبو بكر العامري عن عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو الشيباني عن أبي بكر الوالبي".

● وهاتان الروايتان تدلان على معرفة رجال السند بالوالبي الأديب العالم أو الكاتب الراوية، وكان من الممكن جداً أن نجد المزيد من هذه المعلومات لولا ضياع وفقد، الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية إبان الغزو المغولي للبلاد العربية والغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية بعد ذلك.

أضف إلى ذلك ما تعرضت له وتتعرض مخطوطاتنا من نهب وسرقة وتهريب في وضح النهار وفي غيبة من رقابة أولي الأمر،

والنشاط المكثف لمافيا التراث الذي لا يهدأ ونحن في غفلة لا نعرف مداها[6].

وقد تمدنا المخطوطات المحفوظة في دهاليز ومخازن المكتبات ونحن نجهلها - فالمعرفة الشخصية لها حدود وليس من المعقول أن يعرف الإنسان كل شيءٍ - بالمعلومات عن شخصيات أدبية ما زالت مجهولة علينا ومن بينهم الوالبي نفسه الذي نرجح أن وفاته كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري - والله أعلم ورسوله.

ديوان مجنون

لـــيلـــــــــــــــى

برواية الوالبي

نص الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين.

الاختلاف في اسم المجنون

قال أبو بكر الوالبي: اختلف في اسم مجنون بني عامر[7]: هل هو عامر[8] أو مهدي أو الأقرع أو معاذ أو قيس ابنه أو ابن الملوّح أو البحتري بن الجعد؟ والصحيح الأول. وفي نسبه: هل هو عامري أو كلابي أو جعدي أو قشيري، أو المجانين متعددة، أو هما اثنان في بني عامو؟ والصحيح الأول[9].

بداية الحب

وكان من حديثه: أنه كان صغيراً، وليلى[10] وهي ابنة عيمه كانت صغيرة أيضاً، فكانا يجتمعان في بَهم (أي أغنام لهما)[11] يتحدثان وهما صغيران، فلما شبا وكبرا جعل حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة.

● قال: وكانت ليلى بصيرة بالشعر والأدب ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وكان فتيان بني عامر يجلسون إلى ليلى ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون إليها، فلم يكن في بني عامر فتى أحبّ إليها ولا اكرم عليها منه، حتى إذا بدت حاجة لفتى في بني عامر إلى ليلى توسل بالمجنون إليها، فلم يزالا كذلك برهة من الدهر حتى فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما، فلما كان ذات يوم سألها قيس حاجة لنفسه، لينظر هل له في قلبها مثل الذي في قلبه لها، فمنعته حاجته، فاغرورقت عيناه لمنعها إياه حاجته فأنشأ يقول[12]:

مضى زمن والنـــاس يستشفعون بي[13] ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيعُ

يُضَعِّفُني حبِّيكِ حتى كأنني ... من الأهل والمال التليد نَزيعُ

إذا ما لحاني العاذلاتُ أبتْ كبدي مما أُجِنّ بحبها[14] ... صديعُ

مدى الدهر أو يندَى الصفا مِن متونه[15] ... ويُشعَب من كسر الزجاج صُدوع

وحتى دعاني الناسُ أحمقّ مائقاً[16] ... وقالوا تَبوعٌ للضلال مُطيعُ

وكيف أطيع العاذلات وحبها ... يؤرقني والعاذلات هُجوع

وقال أيضاً:

تَعلقتُ ليلى وهي غِرٌّ صغيرة[17] ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجمُ

صغيرين نرعى البَهمَ يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبرِ البهمُ[18]

فأجابته ليلى وهي باكية لما سمعت شعره:

وكلٌّ مظهرٌ للناس بُغضاً[19] ... وكلٌّ عند صاحبه مكينُ

تَخبّرُنا العيونُ بما أردنا ... وفي القلبين ثَمّ هوىً دفينُ

الأغماءُ حباً

فلما سمع مقالتها[20] خر مغشياً عليه[21]، فلما أفاق[22] قال:

صريعٌ من الحب المبـــرّحِ والهوَى[23] وأيٌ فتىً مِن علّةِ الحـــب يســـلـــمُ

ففطن جلساؤه عند ذلك فأخبروا أباها، فحجبوها عنه وعن سائر الناس، وقدموه السلطان فأهدر السلطان دمه إن هو زارها.

فلما حجبت[24] عنه أنشأ يقول:

ألا حُجبتْ ليلـى وآلـىَ أميـــرهـــا علـــيّ يمينـاً جاهـــلًا لا أزورهـــا

وأوعدَني فيـــهـا رجـــالٌ أبـــوهُـــمُ أبي وأبوها خُشت لـي صدورُهـا

على غير شيءٍ غيرَ أنـي أحـــبـهـــا وأن فؤادي عنـد ليـلـي أســـيرهـا

وإني إذا حَنّتْ إلى الإلـــف إلفُهـــا هفا بفؤادي حيث حنّتْ سَحورهـا

المهدي يرفض

ثم إنه لما اشتهر بحبها وابتلي، قام أبوه وإخوته وبنو عمه وأهل بيته فأتوا أبا ليلى وسألوه بالرَحم والقرابة والحق العظيم أن يزوجها منه، وأخبروه أنه ابتلي بها. فأبى أبو ليلى ولج وحلف وقال: والله لا حدّثت العربُ أني زوجت عاشقاً مجنوناً. فأقبل الناس إلى أبي المجنون وقالوا له: لو أخرجته إلى مكة فعوذته بيت الله الحرام لعل الله يعافيه مما ابتلي!. فأخرجه أبوه إلى مكة وهما راكبان جملاً في محمل، فلما قدما مكة قال له أبوه: "يا قيس! تعلق بأستار الكعبة" ففعل، فقال: قل اللهم أرحني من ليلى وحبها، فقال: "اللهم منّ عليّ بليلى وقربها" فضربه أبوه[25]، فأنشأ يقول:

يا رب إنك ذو مَنٍّ ومغفرة ... بَيِّتْ بعافيةٍ ليلَ المحبينا

الذاكرين الهوىَ مِن بعدما رقدوا ... الساقطين على الأيدي المُكبِينا

يا رب لا تسلُبَنّي حبها أبداً[26] ... ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال أيضاً:

دعا المحرِمون الله يستغفرونه[27] بمكةَ شعثاً كي تُمَحّى ذنوبها

ونـاديتُ يا رحمنُ! أوّلُ سؤلتي لنفسيَ ليلى ثم أنت حسيبها

وإن أُعطَ ليلى في حياتيَ لم يَتبْ إلى الله عبدٌ توبةً لا أتوبها

يَقرِّ لعيني قربُها بها عجباً مَن كان عندي يعيبها
ويزيدني

وكم قائلٍ قد قال تبْ فعصَيته وتلك لعمري خَلةٌ لا أصيبها

وما هجَرتْكِ النفسُ يا ليلُ أنها قَلتْكِ ولكن قلّ منكِ نصيبها

فيا نفسُ صبراً لستِ والله فاعلمي بأول نفسٍ غاب عنها حبيبها

باسم ليلى

فلما سمع أبوه هذه الأبيات رق له، فأخذه بيده نحو مِنىً يريد رمي الجمار، فبينما هو بمنى إذ سمع منادياً ينادي من بعض تلك الخيام "يا ليلى"، فخر مغشياً عليه، واجتمع عليه قومه، وأبوه باك حزين، فأفاق وهو مصفر اللون وأنشأ يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ مِن مِنىً ... فهّيج أحزانَ الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرَها ... أطار بِلبي طائراً كان في صدري

فكأنما

دعا باسم ليلى أسخن اللهُ عينَه ... وليلى بأرض الشام في بلد قفر

عرضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... مِنَ الآنَ فاجزع لا تمَلّ من الصبر

إذا بان مَن تهوى وشطّ به النوى ... ففرقة مَن تهوى أحرّ من الجمر

نار الأسى

وقال:

أيا ليلَ زَنَد البين يقدَح في صدري[28] نار الأسَى ترمي فؤادِيَ بالجمر

أبَى حَدَثان الدهر إلا تشتتاً وأيٌ هَوًي يَبقَى على حدَث الدهر

تَعَزّ فإن الدهر يجرح في الصفا ويقدَح بالعصرَين في الجبل الوعر

وإني إذا ما أعوَزَ الدمعُ أهله فزعتُ إلى دلحاءَ دائمة القطر[29]

فوالله ما أنساكِ ما هبّت الصبا[30] وما ناحت الأطيار في وضح الفجر

وما نطقتْ بالليل سارية القطا[31] وما صدحتْ في الصبح غادية الكُدْر

وما لاح نجمٌ في السماء وما بكت مطوّقةٌ شجواً على فَنن السِّدر[32]

وما طلعت شمسٌ لدى كل شارقٍ وما هطلت عينٌ على واضح النحر

وما اغطوطش الغِربيب واسوَدّ لونه[33] وما مرّ طولَ الدهر ذكرُك في صدري

وما حملتْ أنثى وما خبّ ذعلبٌ[34] وما طفح الآذيٌ في لُجَج البحر

وما زحفتْ تحت الرحال بركبها ... قلاص تَؤمُّ البيتَ في البلد القفر[35]

فلا تحسبي يا ليل أني نسيتكم ... وأنْ لستِ مِني حيث كنتِ على ذكر

أيبكي الحمامُ الوُرق مِن فقد إلفه ... وتسلو وما لِيَ عن أليفي من صبر

فأقسمُ لا أنساكِ ما ذَرّ شارق[36] ... وما خبّ آلٌ في مُعلّمةٍ قفر

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً ... أناجيكمُ حتى أرى غُرّةَ الفجر

لقد حملتْ أيدي الزمانِ مطيتي[37] ... على مركبٍ مستعطِل الناب والظفر

فلما سمع أبوه هذه الأبيات أخذ بيده إلى محفل من الناس.

هوى ليلى

● **فسألهم** أن يدعوا الله تعالى له بالفرج، فلما أخذ الناس في الدعاء أنشأ يقول:

ذكرتكِ والحجيج لهم ضجيجٌ ... بمكة والقلوبُ لها وَجيبُ

فقلتُ ونحن في بلدٍ حرام ... به لله أخلصت القلوب

أتوب إليكَ يا رحمنُ مما ... عملتُ فقد تظاهرتِ الذنوب

فأمّا من هوى ليلى وتركي ... زيارتَها فإني لا أتوب

وكيف وعندَها قلبي رهينٌ ... أتوب إليكَ منها أو أنيب

الحب قاتل

وعن أبي مسكين قال: خرج رجل منا حتى إذا كان بموضع يقال له بئر ميمون، إذ هو بجماعة في ذرى جبل، وإذا فتى قد تعلقوا به كأحسن ما يكون من الرجال وأجملهم يريد أن يرمي بنفسه من أعلى الجبل غير أنه مصفر اللون ناحل البدن وهو يقول:

لقد هَمّ قيس أن يزُجّ بنفسه[38] ... ويرمي بها من ذِروة الجبل الصعب

فلا غَرو أنّ الحبّ للمرء قاتلٌ ... يُقلبه ما شاء جَنباً إلى جنب

أناخ هوى ليلى به فأذابه ... وَمن ذا يطيق الصبرَ عن مَحمل الحب

فيسقيه كأسَ الموت قبل أوانه ... ويُورده قبل الممات إلى التربِ

أرض نجد

● **قال:** فسألت عنه فقيل هذا مجنون بني عامر أخرجه أبوه إلى هذا الجبل يستقبل الويح التي تهب من ناحية نجد، ويكره أن يخليه فيرمى بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوت منه فأخبرتَه أنك قدمتَ من ناحية نجد، فتقدّمْ إليه فلعله ينزل من الجبل، قلت نعم، فدنوت منه، فقالوا يا أبا المهدي هذا رجل قدم من ناحية نجد، قال فتنفس الصعداء حتى ظننت أن كبده تصدعت، ثم جلس يسألني عنها وعن بلاد نجد، فأقبلت أحَدِّثه وأصف له، وهو يبكي أشد بكاء وأوجعه للقلب، ويقول:

ألا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابها[39] وأرواحها إنْ كان نجد على العهد

ألا ليت شِعري عن عويَرِضتيْ قُبا لِطولِ التنائي هل تَغيّرتا بَعدي

وعن أقحوان الرمل ما هو فاعلٌ[40] إذا هو أمسى ليلةً بثرًى جَعْد

وعن جارتَينا بالبتيل إلى الحمى[41] على عهدنا أم لمْ تدوما على عهد

وعن عُلوِيّات الرياح إذا جرت[42] بريح الخزامى هل تَهبُّ إلى نجد

وهل تنفضَنّ الريحُ أفنان لِمّتي على لاحق الإطلين منذلقِ الوَخد[43]

وهل اسمعنّ الدهر أصوات هجمةٍ[44] تُطالع مِن وهدٍ خصيب إلى وهد

بعد النساء

● **قال:** فأقبل أبوه بعد أن قضى نسكه يريد أهله، فلما قدم جمع أعمامه وأخواله فلاموه وعذلوه وقالوا "لا خير لك في ليلى ولا لها فيك، وقد رُددنا عنها، ولك في بنات عمك من خير لك منها، فلو تزوجت واحدة منهن نرجو أن يزول عنك بعض ما يقلبك من حبها، فأنشأ يقول:

لقد لامني في حب ليلى أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا
أقاربٌ[45]

يقولون ليلى أهلُ بيت عداوة بنفسيَ ليلى مِن عدوٍّ وماليا

أرى أهلَ ليلى لا يريدون بيعها بشيءٍ ولا أهلي يريدونها لِيا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوقِ والإبعادِ منها قضى ليا

قسمتُ الهوى نصفين بيني وبينها فنصفٌ لها هذا لهذا وذا ليا

ألا يا حماماتِ العراق أعِنّني على شجني وابكين مِثلَ بكائيا

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ فيا ليتني كنتُ الطبيب المداويا

فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها وخرقة ليلى في الفؤاد كما هيا

عليّ لئن لاقيتُ ليلى بخلوةٍ زيارةُ بيتِ الله رِجلاي حافياً[46]

فيا رَبِّ قد صيّرتَ ليلى هي المنا فزِنّي بعينيها كما زنتها ليا

وإلا فبَغِّضْها إليّ وأهلَها فإن بليلى قد لقيتُ الدواهيا

يلومون قيساً بعدما شَفَّهُ الـــهـــــوى وبات يراعي النجمَ حيرانَ بـاكـيـاً
فيا عجباً ممن يلوم علـى الهـــــوي فتىً دنفاً أمسى من الصبر عـاريـاً[47]
ينادي الذي فوق السموات عرشُـه ليكشفَ وَجـــداً بين جنـبيـه ثـــاويـا
بساحرة العينين كالشمس وجـهـهـا يُضيء سناها في الدُّجى متســـاميا

سلام على ليلى

قال: فلما سمعوا مقالته اسمعوه ما يكره فمر على وجهه آسياً مهموماً حزيناً متفكراً في أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب، وترك محادثة الناس وصار في حدٍ يرحمه من رآه من عدو وصديق، فقال:

ما بالُ قلبكَ يـــا مـجـنـــونُ قـــد هـلـعـــا[48] — مِن حب مَن لا ترى في وصلها طمعا

الحب والعشق سِيطَا مِن دَمـي لـهـمـا — فأصـبـحـــا فـي فـــؤادي نـــابتَيـــن معـا

طوبَى لمن أنتِ فـي الدنـيـــا قـريـنـتـه — لـقـــد نَفَـــى الله عنه الهـمّ والـــجـــزَعـــا

بِلْ مـا قـرأتُ كـتـــابـــاً مـنـــكِ يبلـــغـنـي — إلا تـــرقـــرق مـاءُ الـعـيـن أو دَمـــعـــا

أدعو إلى هجرهـــا قـلـبـــي فـيـــتـبـعـــنـي — حتـى إذا قـلـتُ هـــذا صـــادقٌ نـــزَعـــا

لا أستطـيـع نـــزوعـــاً عـن مـــودتـــهـــا — ويصنع الحب بـي فـــوق الـذي صَنعـا

كم مِن دنيءٍ لـــهـــا قـــد كـنـت أتـبـعـــه — ولو صحا[49] **القـلـب عنهـا كـان لي تبـعا**

وزادنـي كـلـفـــاً فـــي الحـب أن مُنـعـتْ — أحَبُّ شـيء إلـى الإنـســان مـــا مُنـعـــا

اقر السلامَ على ليلى وحقّ لها منى التحيةُ إن الموتَ قد نزعا[50]

أماتَ أم هو حيٌّ في البلاد فقد قَلّ العزاءُ وأبدى القلبُ ما جزعا

إلى الواديين

وقيل: كان المجنون بموضع يسمى الواديين وكان يجلس بينهما ويخلو في بيته، فخرج يوماً يريدهما، فلما صار قريباً من الواديين انشأ يقول:

ألا لا أرى وادِي المياه يُثيب ولا النفسَ عن وادي المياه تطيبُ

أحب هبوطَ الواديين لمشتهرٌ بالواديين غريب وإنني

أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ وارداً ولا صادراً إلا عليّ رقيب

ولا زائراً فرداً ولا في جماعة من الناس إلا قيل أنت مُريب

وهل ريبةٌ في أن تَحنّ إلىّ إلفها أو أن يحن نجيب[51] نجيبةٌ

وإن الكثيبَ الفرد مِن جانب الحِمى إليّ وإن لم اتَه لحبيب[52]

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

إلى بابل

وذُكِرَ أن أباه الملوح أتاه وحمله إلى بابل ليعالجه وذلك قبل نزول ما نزل به من الحب الشديد وسورة العشق، فحمله على ناقته، فلما أمعنا في السير ذكر المجنون ليلى، فلم يتمالك أن قال:

تمتّع مِن ذُرَى هضباتِ نجدٍ ... فإنك موشكٌ أن لا تراها

أوَدّعها الغداة فكلُّ نفسٍ ... مفارقةٌ إذا بلغت مداها

قال: فبكى أبوه رحمة له وقال: يا بني هل لك أن تسلو بغيرها؟ فقال: والله ما أجد إلى السلو سبيلًا وإني لفي أعظم الكرب والبلاء، **وأنشأ يقول:**

وكم قائلٍ لي أسلو عنها بغيرها[53] ... وذلك من قول الوشاة عجيب

فقلت وعيني تستهل دموعُها ... وقلبي بأكناف الحبيب يذوب

لئن كان لي قلبٌ يذوب بذكرها ... وقلبٌ بأخرى، إنها لقلوب

فيا ليلى جُودي بالوصال فإنني ... بحبّيك رهنٌ والفؤاد كئيب

لعلكِ أن تُروَيْ بُشربٍ على القذى ... وترضي بأخلاق لهن خُطوب[54]

وتبلي وصالَ الواصلين فتعلمي ... خلائقَ مَن يُصفِي الهوى وَيشوب

لقد شفّ هذا القلبَ أن ليس بارحـــاً ... له شجـــنٌ مـــا يُـستـطـــاع قـــريب

فلا النفسُ تخليها الأعادي فتشتـفـي ... ولا النفسُ عمـا لا تـنـــال تـطـيـب

لكِ الله إني واصلٌ مـــا وصـلـتِنـي ... ومُـــثـــنٍ بـمـا أوليـتِنـي ومُـثـيـب

وآخذُ ما أعطـــيـتِ صـفـواً وإنـنـي ... لأزْوَرُ عما تـكـرهـــيـــن هَـيـــوب[55]

فلا تتركي نفسي شعـاعـاً فـــإنـهـــا ... مِن الوجد قد كادت علـيـك تـذوب

وألقى من الحب المـبـــرّح سَـــورةً ... لها بين جـلـــدي والـعـــظـــام دبيب

وإنى لأستحييـــكِ حـــتـــى كـأنـمـــا ... عليّ بظهـر الغيب منـــكِ رقـــيـب

دعوني

قال الوالبي: بلغني أنه دخل بابل واجتمع إليه المطببون وأقبلوا يسقونه شربة بعد شربة ويكوونه، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول:

دعوني دعوني قد أطلتم عذابيا ... وأنضجتمُ جلدي بِحَرِّ المكاويا

دعوني أمُتْ غمّا وهمْاً وكربةً ... أيا ويح قلبي مَن به مثل مابيا

دعوني نغمي وانهدوا في كلاءةٍ ... مِن الله قد أيقنتُ أن لستُ باقيا[56]

وراءكمُ إني لقيتُ مِن الهوى ... تباريحَ أبلت جِدّتي وشبابيا

يراني شوق لو برصوى لهدّه ... ولو بثبير صار رَمساً وسافيا[57]

سقي الله أطلالا بناحية الحمى ... وإن كنّ قد أبدَين للناس ما بيا

منازلُ لو مرّت عليها جنازتي ... لقال الصدى يا حامليّ انزلا بيا

فاشهدُ بالرحمن من كان مؤمناً ... ومَن كان يرجو الله فهو دَعا ليا[58]

لحا الله أقواما يقولون إننا ... وَجدنا الهوى في النأيِ لِلصب شافيا[59]

فما بال قلبي هدّه الشوقُ والهوى ... وأنضج حَرُّ البينِ مِني فؤاديا

ألا ليت عيني قد رأت من رآكمُ ... لعليَ أسلو ساعةً مِن هُياميا

وهيهات أن أسلو من الحزن والهوى ... وهذا قميصي مِن جَوى البين باليا

فقلت نسيمَ الريح أدِّ تحيتي ... إليها وما قد حلّ بي ودهانيا

فأشكرُهُ إني إلى ذاك شائق ... فيا ليت شِعري هل يكون تلاقيا

معذبتي! لولاكِ ما كنتُ هائماً ... أبِيتُ سخينَ العين حرّانَ باكيا

معـــذبتي! قد طـــال وَجدي وشـفّني هـــــواكِ فيا للنـــاس قَـلّ عـزائـيـا

معذّبتي! أوردْتِنِـي مـنـهـلَ الـــردَى وأخلفتِ ظني واخترمـتِ وصالـيـا[60]

خليليّ هيّا فاسعداني عـلى الـبُـكـــا فقد جَهدَتْ نفسي وربِّ المثـانـيـــا

خـلـيـلـيّ إنـي قـد أرِقـتُ ونِمتـما لبـــرقٍ يمانٍ فـــاجلســـا علّلانيـا

خَليليّ لو كنتُ الصحـيـحَ وكـنـتـما سقيمين لم أفعـــل كفعلكمـــا بيـــا

خَليليّ مُـدا لـي فـراشِـيَ وارفـعـا وِسادي لعـل الـنـومَ يُـذهِـبُ مـابـيـا

خَليليّ قد حانت وفـاتـي فـاطـلـبـا ليَ النعشَ والأكفـان واستغفـرا ليـا

وإن متُّ مِـن داء الصـبـابـة بـلِّـغـا نتيجةَ ضوء الشمسِ مِني سـلامـيـا

من صحراء بني تميم

وقال بعضهم: بينا أنا أدور في صحراء بني تميم إذ مررت بقانصين قد قنصا ظبياً وعقلاه، فوقفت أنظر إليهما، إذا أنا بغلام قد أقبل كأن وجهه فلقة قمر عليه ضفيرتان تضربان خصره، فدنا منهما وتأمل الظبي، ثم أرسل عينيه بالبكاء وهو يقول:

وذَكّـــرَنـــي مَـــن لا أبـــوح بذكـــره ... محاجرُ خِشْفٍ في حبائـل قـانـص[61]

فقلتُ ودمع العين يجـــري بـحرقـــة ... ولحظي إلى عينيه لحظةُ شاخص

ألا أيهذا القانـصُ الخـــشـــفَ خَـلّـــهِ ... وإن كنتَ تـــأبـــاه فخـــذ بقلائصـي[62]

خَـــفِ اللهَ، لا تـقـتـلـه إنّ شـبـيـهـــه ... حياتي وقد أرعدتَ مِني فرائصـي

فواللّه ما برح حتى اشتراه وخلّى سبيله.

قيس في منظور العشاق

وقيل: دخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان وقد قعد للشرب، فقال: يا كثير هل رأيتَ أعشقَ منك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وكيف وأنت **القائل:**

رُكبانُ مكة والذين أراهم ... يبلون من حَرِّ الفؤاد هُمودا[63]

لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خرّوا لعَزّةَ رُكّعاً وسجودا

الله يعلم لو أردت زيادةً ... في حب عزة ما وجدتُ مَزيدا

قال: أخبرك يا أمير المؤمنين، بينما أنا أسير في بعض البوادي في ساعة الهاجرة في يوم شديد الحر، إذ رفع لي شخص في مفازة ليس بها أنيس، فذعرت منه، ثم ملت إليه، فإذا هو شاب حسن الوجه جعد الشعر فقلت: إنسي أنت أم جني؟ قال بل إنسي فقلت: ما أخرجك في هذه الساعة إلى هذه البرية؟ قال: نصبت شركا للظباء. قلت - وقد قرمت[64] إلى اللحم يا أمير المؤمنين - : تجعل لِي نصيباً إن أقمت عليك؟ قال نعم ونعمة عين، فأقمت عنده حتى اقتنص ظبية كأحسن ما يكون من الظباء، ثم قبض على قرنها وأقبل ينظر في محاسنها ويقول:

أيـــا شبـهَ ليلى لا تُـــــراعي فـــــإنني لك اليـوم مِن بين الوحـــوش صـديـــقُ

ثم أطلقها وجعل ينظر في أثرها ويقول:

أقـــــول وقـــد أطلقتها مِن وثـــاقـهـــــــا فـــــأنت لليـــلى إن شكـــــرتِ عـــتـيـق

فعينـــــاك عينـــــاها وجِـيـــدك جيـــــدهـــا ســـوى أن عـظـــم الســـاق منـــكِ دقيق

وكـــــاد بـــــــلادُ الله يـــــا أم مـــــالـك بما رَحـــبت مـــنـكـــم عـــلـيّ تضـــيـق[65]

قال: ثم وقعت يا أمير المؤمنين ساعة، فإذا قد علقت أخرى فصنع بها ما صنع بالأولى ثم أطلقها وأنشأ يقول:

ألا يـــا شـــبـــــه ليـــــلـــى لا تـــــراعـــي ولا تـــنـــســـل[66] عـــــن ورد الـــتـــــلاع

لـــقـــــد أشبـــهـــتـــــــهـــا إلا خـــــلالا نشـــوز القـــرن أو خـمـــش الكـــــراع[67]

فتعجبت يا أمير المؤمنين من صنعه، فما كان إلا هنيهة حتى علقت أخرى فأطلقها من وثاقها وجعل يبكي ويقول:

تـــروّحْ سالمـــاً يـــا شـبـــهَ لـــيـــلـى قـــريـــرَ العين واستِـــــطبِ الـبقـــــولا

فليـــلـى أنـــقـــذتـــك مـــن الـــمنـــايـــا وفـــكـــت عـــن قـــــوائمـــك الكبـــولا[68]

فعاظني يا أمير المؤمنين غيظاً شديداً وقلت في نفسي ستعلم، ثم مكثنا ساعة فعلقت أخرى فوثبت إليها فكسرت يدها طمعاً في لحمها، فبكى بكاء عالياً، ثم قال: ويحك ما دعاك إلى أن أفسدت

موضعاً يوافقني وكنت ألفته؟، ثم اغتفلني فأتى ماء كان قريباً منه فغمس فيه كساءه فبله، ثم أتى توبرة فأطفأها، ثم قال أفسدت حالي. ما أراه إلا أنه مات.

فقال عبد الملك بن مروان فأين أنت من قولك حيث تقول:

أيا عَزّ لوْ أشكو الذي قد أصابني — إلى ميت في قبره لبكى ليا[69]

أيا عَزّ لوْ أشكو الذي قد أصابني — إلى راهب في ديره لرثى ليا

أيا عَزّ لوْ أشكو الذي قد أصابني — إلى جبل صعبِ الذُرَى لا نحنى ليا

أيا عَزّ لوْ أشكو الذي قد أصابني — إلى ثعلبٍ في جحره لا نبرى ليا

أيا عَزّ لوْ أشكو الذي قد أصابني — إلى موثق في قيده لعدا ليا

قال: أشعر مني يا أمير المؤمنين الذي يقول:

إن الظباء التي في الدّور تُعجبني — تلك الظباء التي لا تأكل الشجرا

لهنّ أعناقُ غزلانٍ وأعينها — وهنّ أحسن مِنْ أبدانها صُورا

وَلِي فؤادُ يكاد الشوق يصدَعه — إذا تذكر من مكبوته الذكرا

كانت كدُرةِ بحرٍ غاص غائصها — فأسلمتها يداه بعدما قدرا

ويقول:

إذا نظرتْ عرفت الجِيدَ منها — وعينيها ولم تعرف سواها

كـــــرهنـــــا أن نُـفـــزِّعـــهـــا فـــقـــلـنـــا أشَـــــل الله كـــــفّ مـــــن رمـــــاهـــا

قال فمن هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين هو الذي يقول في قصيدته:

وكنتُ كـذبّـــاح العصـــافيـــــر دائـــبـــاً وعينـــــاهُ مِـــن وجـــدٍ عليهن تهـــمل[70]

فلا تنظري ليلى إلى العين وانـــظـــري إلى الكف مـــاذا بالعصـــافيـــر تفـعـــل

قال: ويحك عساه المجنون؟ قلت: نعم، قال: فزدني من شعره، فقلت: قال:

لوْ سِيلَ أهـــلُ الهوى مِن بعـــد مـوتهم هل فـــرجتْ عنكم مُذ مُتـــــم الكُـــرَبُ

لقـــــال صـــــادقهم أن قد بلى جسـدي لكن نـــار الهـــوى في القلب تـــلتهب

جفّت مـــدامعُ عين الجسم حيـن بـكـى وإنّ بالـــدمـــع عينَ الـــروح تنسـكـب

وقال:

أحن إلى أرض الحجـــاز وحـــاجـتـي خيامٌ بنجدٍ دونها الـــطرف يقصـــر

وما نظري من نحـو نـــجـد بـنـــافـعـي أجَـــل ولكـــني علـى ذاك أنـــظـــر

أفي كـــل يـــوم عـبـــرة ثم نـــظـرة لِعينك يجـري مـــاؤهـــا يـتـحـــدر[71]

متى يستـــــــريح القلب إمّـــا مجـاور حـــزيـــن وإمـــا نـــازح يـتـــذكـــر

يقولـــون كم تجـــري مـــدامـــعُ عـيـنـــه لهـــا الدهـرَ دمـــع واكـــفٌ يتـحـــدر

وليس الذي يجري عن العين مـاؤهـا ولـكـنـهـا نـفسٌ تـذوب وتـفـطر

وقال:

وشُغلت عن فـهـم الحـديـث سـوى مـا كـان منـك وحـبـكـم شـغـلي

وأُديـم نـحـو مـحـدِّثـي لـيـرى أن قـد فـهمتُ وعنـدكـم عـقـلي

جرير يتكلم

وقال: واجتمع قوم على جرير بن الخطفي[72] فقال لهم جرير: ما بيتٌ نصفه كأنه أعرابي على قعود، ونصفه كأنه جالينوس بحكمته؟ قالوا: لا ندري. قال: قد أجلتكم، قالوا: لو أجلتنا حولين لم ندر ولكن عرّفنا، فأنشأ **يقول:**

(ألا أيها النوام ويحكم هبوا) كلمة أعرابي على قعود له، ثم أدركه اللين ووضوح الحب فقال (أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ).

فقالوا: نعم حتى يرُضّ عظامه ... ويتركه حيرانَ ليس له لب

فيا بعلَ ليلى كيف يجمع شملنا ... لديّ وفيما بيننا شبّت الحربُ

لها مثل ذنبي اليوم إن كنتُ مذنبا ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

إلى الإلمام بها، فنزلت في أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة وأنخت ناقتي إلى قنوان[73] شجرة صغيرة وجلست هنيهة، فبينا أنا كذلك إذ سقط رجل من جراد[74] فافترشت جنباتها وأخذت طولها وعرضها، فظللت متعجباً مما أرى

ثم رميت نظري في نواحيها فإذا أنا بشخص أقبل ما على جسده غير شعر منسدل على صدره، وزغبات على عكنه[75]، فراعني منظره واستطار قلبي خوفاً ووجلاً، وخشيت أن أكون على شرف الهلاك، وما شككت أنه شيطان مارد فلما دنا مني أنشأ يقول:

حُبّ إلينا بِكَ يا جرادُ

أرضٌ وإن جاعت بِكَ الأكبادُ وضاقت الأصدار والأورادُ

ولم يكن قبلُ لنا عِتادُ ولا لأبناء السبيل زادُ

فقلت: إنسي أنت أم جني؟ فأنشأ يقول:

إليك عني فإني هائم وصِبُ أما ترى الجسم قد أودى به العطبُ[76]

لله قلبيَ ماذا قد أتيح له حَرٌ الصبابة والأوجاع والوصبُ

ضاقت عليّ بلاد الله ما رحبتْ يا للرجال فهل في الأرض مطّرب[77]

البينُ يؤلمني والشوق يجرحني والدار نازحةٌ والشمل منشعِب

كيف السبيل إلى ليلى وقد حُجِبت عهدي بها زَمنا ما دونها حُجُبُ

ثم خر مغشياً عليه، فبادرت إلى الماء ونضحت على وجهه، فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول:

بلادي لو فهمتِ بسطتُ عذري إذا ما القلبُ عاوده نزوعُ

بها الحَيْنُ المباح لمن بغاهُ وجزعٌ للغريب به مريعُ[78]

إلى أهـــلـي الكـــــــرام تُشـــاق نـــفـسـي فهـــــل يوماً إلـــى وطـــنـــي أريـــــــع

ياركيات الرسيس

وقيل: كانت العرب تحفر الركايا[79] والبرك وتملؤها ماء ثم تسقي إبلها وغنمها فإذا انتجعت[80] إلى غير تلك البقعة عفتها الرياح الصيفية فطمست آثارها القساطل[81]، فكان المجنون يمر بتلك البقاع فلا يرى غير وتد مشجوج ونؤي[82] منهدم وطوى مثلوم[83]، فيستعبر أسفاً وحزناً ويقول:

ألا يا رُكياتِ الرّسيس على البِـــــلا ... سُقيتن هـــل في ظلكـــــن شجـــونُ[84]

أضـــرّبكن العـــــامَ نـــوءُ سحـــــابـــةٍ ... ومَحْلٌ فما تجـــري لكـــن عـــيـــون[85]

أجنتُنّ بعد الحي فانصـــــاحت اللوى ... وكنتن عهـــدي مـــــا بـــكن أُجونُ[86]

قال: ثم قعد عند جبل يقال له الوشل بناحية تهامة، كأعظم ما يكون من الجبال، وأنشد يقول:

إقـــرأ على الوشـــل السلامَ وقـــلْ لهُ ... كـــلُّ المشاربُ مُذْ هُجِـــرتَ ذميـمُ

جبـلٌ يزيـــد عـــلى الجـبـال إذا بـــدا ... بين الـــذرائـــع والحـشـــوم مـــقـــيـم[87]

تـــســـرِي الصبـــا فَتبيتُ فـي ألـوازه ... ويبيت فيـه مـع الشـمـــال نـســـيـم[88]

سُقيـــاً لـظـــلّكَ بالعـــشـــي وبالضحى ولـــبـرد مـــائـــك والمـيـــاه حـــمـيـــم[89]

لـــو كـنـــتُ أمـلـك منعَ مائك لم يـذقْ ما في فلاتك مـــت حـيـيـتُ لـــئيـــم

عفا الله عن ليلى

وقيل: خرج رجل يريد سفراً فبينما هو يمر بين سباسب وآكام إذ رأى رجلاً نحيل الجسم كأضوأ ما يكون من الرجال، وهو على شفير بئر، قال: فدنوت منه، فإذا هو يقول:

عفا الله عن ليلى وإن سفكتْ دمي ... فإني وإن لم تُجزِني غيرُ عائبِ

عليها، ولا مبدٍ لليلى شكايةً ... وقد يَشتكي المُشكَى إلى كل صاحبِ

يقولون تُبْ عن ذكرِ ليلى وحبِّها ... وما خَلَدي عن حب ليلى بتائبِ

وقال أيضاً:

فيا قلبُ مُتْ حزناً ولاتكُ جازعاً ... فإن جزوع القوم ليس بخالدِ

هَوَيتُ فتاةً كالغزالة وجهها ... وكالشمس يَسبي دَلُّها كلّ عابدِ

ولي كبدٌ حَرّ وقلبٌ معذّب ... ودمعٌ حثيث في الهوى غيرُ جامدِ

وآية وَجدِ الصبِّ تَهطال دمعه ... ودمعُ شجي الصب أعدَل شاهدِ

على ما انطوى مِن وَجده في ضميره ... على الآنسات الناعمات الخرائدِ[90]

فيا ليت أن الدهر جاد برجعةٍ ... وهيهات، إنّ الدهر ليس بعائدِ

إليك فعزّ النفس واستشعرِ الأسَى ... فحبك يُنمي زائداً غير بائدِ

وقد شسعتْ لـــيـــلى وشطّ مـــزارهـــا وغيّـــرها عن عهـــدهـــا قولُ حاسدِ

فـــيـــا أســـفـــا حَـــتّـــامَ قـــلـــبـــي إلـــى الله أشـكـــو طـــولَ هـذِي الشدائدِ مـعـــذّبٌ

ثم رجعت فتركته ومضيت عنه.

مودة الحبيب

وعن رجل من بني عامر قال. لقيت المجنون عند قفوله عن البيت الحرام، فقلت له: ويحك استشعر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب، واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك الشنعة، فإن التهتك يقطع مواد الغبطة. وليس للمهتوك ألفة، والمستور طويل مدة الغبطة. فكان من جوابه أن **قال:**

إن الغواني قتّلت عشاقها ... يا ليتَ من جهل الصبابةَ ذاقها

في صدغهن عقاربٌ يلسعْننا ... ما مَن لسَعن بواجذٍ ترياقها

إن الشقاءَ عناقُ كل خَريدة ... كالخيرزانة لا نملٌ عناقها

بيضٌ تُشبه بالحقاق ثُديّها ... من عاجة حكت الثدِيٌ حقاقها[91]

يُدمي الحريرُ جلودَهن وإنما ... يُكسَين من حُلل الحرير رِقاقها

زانت روادفها دِقاق خصورها ... إني أحب من الخصورِ دقاقها

إن التي طرق الرجالُ خيالها ... ما كنتُ زائرها ولا طرّاقها

وقال أيضاً:

وقالوا لو تشاءُ سلوتَ عنها ... فقلتُ لهم فإني لا أشاء

وكـــيـــف وحـــبـــهـــا عَلِـــقٌ بـقـلـبـــي
كـمـــا عـلـقـــتْ بـــــأرشـــيـــةٍ دِلاءُ[92]

لها حُبٌّ تَـــنَـــشّـــأ فـــي فـــؤادي
فـــلـيس لـــه وإن زُجـــر انـــتـــهاءُ

وعاذلةٍ تُقَـــطّعـــنـــي مـــلامـــاً
وفي زَجـــر العـــواذل لـــي بـــلاء

قال: فأقسمت عليه أن ينشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والأطراف والبشر والجلد، فقال:

ليالِيَ أصبو بالعشِّـــي وبـــالـــضـــحـــى
إلى خُرَّدٍ ليســت بســودٍ ولا عَـصْـلِ[93]

مُنعمة الأطراف هَـــيـــف بـــطـــونهـــا
كواعبُ تمشي مشية الخيلِ في الوحل

وأعناقـهـــا أعـــنـــاقُ غُـــزلانِ رمـلـــةٍ
وأعينـــهـــا من أعـيـــن البقـــر النُّـجـل

وأثلاثهـــا الســـفـــلـــى بَـــراديٌّ ســـاحـــلٍ
وأثلاثها الوسطى كـثيـبٌ مِن الرمـل[94]

وأثلاثهـــا الـــعـــلـــيا كـــأن فـــروعـهـــا
عناقيدُ تُغذي بـالـدهـان وبـالـعـسـل

وترمِي فتصطادُ القـلـوبَ عـيـونُـهـا
وأطرافها ما تُحسن الرّمـيَ بـالـنـبـل

زرَعن الهوَى في القلب ثـم سـقـيـنهُ
صَبابات ماءِ الشوق بالأعيـن النُّجـل

رعـابيـب ما صِـدنَ القـلـوبَ وإنـمـا
هي النبل رِيشتْ بالفـتـور وبالكـحـل[95]

فـفـيـم دمـاءُ العـاشـقـيـن مُـطـلـةٌ
بـلا قَـودٍ عـنـد الحسـان ولا عـقـل[96]

ويقتلـن أبـنـاءَ الصـبـابـة عُـنـوةً
أمَا في الهوَى يا ربِّ من حكمٍ عـدل!

العلوي يقول:

● **وقال** أبو الحسن العلوي: سألتُ الوالبي عن أحسن شيء قاله المجنون في العفة، فأنشدني:

ألا يا شِفاءِ النفس لو يُسعفُ النوى ونجوى فؤادي لا تُباح سرائرُهْ

أثيبي فتى حقّقتِ قولَ عليه وقلّتْ في الصديق معاذرهْ عدوِّهِ

أحبك يا ليلى على غير رِيبةٍ وما خيرُ حبٍ لا تَعُفُّ ضمائرهْ

وأنشد:

يجيشون في ليلى عليّ ولم أنلْ مع العذلِ من ليلى حراماً ولا حلاّ

سوى أن حباً لو تشاءُ أقلها ولو تبتغي ظلًا لكان لها ظلاّ

ألا حبذا أطلالُ ليلى على البلا وما بذلتْ لي مِن نوالٍ وإن قلاّ

فما يتمادى العهد إلا تجدّدتْ مودتها عندي وإن زعمت أنْ لا

يا غراب البين

وقال بعضهم: بينما المجنون ذات يوم جالس إذ مر به غراب، فأنشأ **يقول:**

ألا يا غراب البين إن كنتَ هابطاً بلاداً لليلى فالتمسْ أن تكلما

وبَلِّغ تحياتي إليها وكن بعدها عن سائر الناس أعجما وصبوتي

البرق يلوح

وقال: بينما المجنون ذات يوم في خطرات جنونه وحيوته لا يدري أين يتوجه إذ لاح البرق[97] له فوقف ساعة ثم قال:

ألا لا أحب السيرَ إلا مصعِّداً ... ولا البرقَ إلا أن يكون يمانيا

على مِثل ليلى يَقتل المرءُ نفسه ... وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا

إذا ما تمنى الناس رَوْحاً وراحةً ... تمنيتُ أن ألقاكِ يا ليل خاليا

أرى سَقما في الجسم أصبح ثاوياً ... وحزناً طويلاً رائحاً ثم غاديا

ونادَى منادِي الحبِّ أين أسيرُنا؟ ... العلك ما تزداد إلا تماديا

حملتُ فؤادِي إن تعلق حبها ... جعلتُ له من زفرة الموت فاديا

وقال أيضاً:

لقد طرقتني أمٌّ خشفٍ وإنها ... إذا صرع القومَ الكرى لَطروقُ[98]

أقام فريقٌ من أناسٍ بودهم ... بذات الشرَى عندي وبانَ فريق[99]

بحاجة مخزونٍ كئيبٌ فؤاده ... رهينُ ببيضاتِ الحجال صديق[100]

تحَيلن أن هبت لهن عشيةً ... جَنوبٌ وإن لاحت لهن بروق[101]

فيا كبداً أخشى عليها مخافة ... هضبات اللوَى لخَفَوق وإنها

كأنّ فضولَ الرقم حين جعلتها ... غدِيّاً على أدْمِ الجمال عُذُوق[102]

وفيهن من نُجْلِ النساء بحلةٍ تكاد على غُرِّ السحاب تروق[103]

حبانٌ فأما الدِّعص مِن أخرياتها فوَعثٌ وأما خَصرُها فدقيق[104]

وقال أيضاً:

أقول لقمقام بن زيد ألا ترى سَنا البرقِ يبدو للعيون النواظرِ

فإن تبكِ للبرق الذي هيج الهوى أُعنكَ وإن تصبر فلستُ بصابرِ

سقى الله حياً بين ضارة والحمى حِمَى الرشف صوبَ المدجنات المواطرِ[105]

أمينُ بوادي الله مَن كان منهمُ إليهم ووقاهم صروف المقادرِ

عاشق ذو صبابة

وقيل: إنه مر ذات يوم بدوحة مديدة الظل باسقة الأغصان وريقة الأفنان في يوم غليل شديد القيظ فاستند إلى ساقها واستظل بظلها وقد خامرته الهموم وعلاه الجنون، فرقدت عيناه فما انتبه إلا بصفير طائر على الشجرة فانتبه فزعاً مرعوباً، فأنشأ **يقول:**

لقد هتفت في جنح ليلٍ حمامةٌ ... على فَننٍ وَهناً وإني لنائمُ

فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنني لنفسي فيما قد أتيت لَلائمُ

أأزعمُ أني عاشقٌ ذو صبابة ... بليلى ولا أبكي وتبكي البهائمُ

كذبتُ وبيت الله لو كنت عاشقاً ... لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ

وقال أيضاً:

هوى صاحبي ريع الشمال إذا جرتْ ... وأهوى لنفسي أن تَهبّ جَنوبُ

فويلي على العذّال ما يتركونني ... بِغمّي أما في العاذلين لبيبُ

يقولون لو عَزيت قلبك لارْعوى[106] ... فقلت وهل للعاشقين قلوبُ

دعاني الهوى والشوق لما ترنمت ... هَتوفُ الضحي بين الغصون طَروبُ

تُجاوب وُرقاً قد أصخنَ لصوتها فكلٌ لكلٍ مُسعِدٌ ومجيبُ

فقلت حمامَ الأيكِ مالك باكياً أفارقتَ إلفاً أم جفاك حبيبُ

تُذَكرني ليلى على بعد دارِها وليلى قتولٌ للرجال خلوبُ

وقد رابني أن الصّبا لا تُجيبني وقد كان يدعوني الصبا فأجيبُ

سبى القلبَ إلا أن فيه تجلداً غزالٌ بأعلى الماتحين ربيبُ[107]

فكلّمْ غزال الماتِحَين بدائي وإن لم يشفني لطبيبُ فإنه

ولو أنّ ما بي بالحصا فَلق الحصا وبالريح لم يُسمع لهن هبوبُ

ولو أنني أستغفرُ الله كلما ذكرتكِ لم تُكتبْ عليّ ذنوب

فدَومي على عهدٍ فلستُ بزائلٍ عن العهدِ منكم ما أقام عَسيب

وقال أيضاً:

أموت إذا شَطّتْ وأحيا إذا دَنت وتبعث أحزاني الصّبا ونسيهما

فمن أجل ليلى تُولع العين بالبكا وتأوِي إلى نفسٍ كثيرٍ همومُها

كأن الحشا مِن تحته علقتْ به يدٌ ذاتُ أظفار فأدْمت كلومُها

يا موقد النار

قيل: إن المجنون صحب يوماً أصحاب إبل[108] واستُروح بهم فنزلوا منزلاً لم يجدوا لإبلهم فيه ماء قد أجهدهم الكلال، فباتوا ليلتهم، فلما نوّر الصباح قدح أحدهم ناراً فكلما التهبت أطفأتها الريح والمطر، فلما طال ذلك عليهم أنشأ المجنون **يقول:**

يا مُوقدَ النارِ يُذكيها ويُخمدها ... قَرٌ الشتاءِ بأرياحٍ وأمطار

قُمْ فاصْطلِ النارَ مِن قلبي مضَرّمةً ... فالشوقُ يُضرمها يا مُوقدَ النار

ويا أخا الذّود قد طال الظماءُ بها ... لم تدرِ ما الرّي من جَدْبٍ وإقتار[109]

رُدّ المطيّ على عيني ومِحجرها ... تَروي المطيّ بدمعٍ مُسبِلٍ جار

يا مزمعَ البين إن جدّ الرحيل فلا ... كان الرحيلُ فإني غيرُ صبّارِ

وقال:

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصِّلا ... تعالوْا اصطلوا إن خفتم القرّ من صدري

فإنّ لهيب النارِ بين جوانحي ... إذا ذُكِرَتْ ليلى أحَرٌ من الجمر

فقالوا نريد الماء نسقِي ونستقي
فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري

فقالوا وأين النهرُ قلتُ مدامعي
سيغنيكم دمعُ الجفون عن الحفر

فقالوا ولِمْ هذا فقلت مِن الهوى
فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري

ألم تعرفوا وجهاً لليلى شعاعُه
إذا برزت يُغني عن الشمس والبدر

يمرّ بوهمي خاطرٌ فيؤدّها
ويجرحها دون العيان لها فكري

مُنَعمةٌ لو قابل البدر وجهها
لكان له فضلٌ مبينٌ على البدر

هلاليةُ الأعلى مُطلخةُ الذرا
مُرَجرجة السفلى مهفهفةُ الخصر[110]

مبتّلةٌ هيفاءُ مهضومة الحشا
مُوَرّدة الخدّين واضحة الثغر[111]

مُدَمْلَجَةُ الساقين بضٌّ بضيضةٌ
مفلجة الأنياب مصقولة الخَمرِ[112]

فقالوا أمجنونٌ فقلتُ مُوسْوِس
أطوف بظهر البيدِ قفراً إلى قفرِ

فلا مَلَكُ الموتِ المريحُ يريحني
ولا أنا ذو عيش ولا أنا ذو صبر

وصاحت بوَشك البين منها حمامةٌ
تَغنت بليل في ذُرَى ناعم نضر

على دَوحة يَسْتَنّ تحت أصولها
نواقعُ ماءٍ مَدّه رَصَفُ الصخرِ[113]

مطوّقة طَوقا ترى في خُطامها
أصولَ سواد مطمئن على النحرِ[114]

أرَنت بأعلى الصوت منها فهيجت فؤاداً مُعَنّى بالمليحة لو تدري

فقلت لها عودي فلما ترنمت تبادرت العينان سحّاً على الصدر[115]

كأن فؤادي حين جَدّ مسيرُها جناحُ غراب رام نَهضاً إلى الوكر

فودّعتها والنار تقدح في الحشا وتوديعها عِندي أَمَرٌ مِن الصبر

ورُحتُ كأني يوم راحت جمالُهم سقيت دَمَ الحياة حين انقضى عمري

أبيتُ صريعَ الحُبِّ مدمًى من الهوى وأَصبح منزوع الفؤاد من الصبر

رمتني يدُ الأيّام عن قوس غِرّة بسهمين في أعشار قلبي وفي سحري

بسهمين مسمومين من رأس شاهقٍ فغودِرتُ محمرّ الترائب والنحر

مُنايَ دَعيني في الهوى متعلّقاً فقد مِتُّ إلا أنني لم يُزَرْ قبري

فلو كنتِ ماءً كنتِ من ماء مزنةٍ ولو كنتِ نَوماً كنت من غفوة الفجر

ولو كنت ليلًا كنت ليلَ تواصلٍ ولو كنت نجماً كنتِ بدر الدجى يَسري

عليك سلام الله يا غايةَ المنى وقاتلتي حتى القيامةِ والحشر

طير يتحلق

قال: ونظر ذات يوم إلى طير يتحلق في جو السماء فأتبعه بصره[116] وأنشأ يقول:

ألا أيها الطيـــر الـــمـحـــلِّق غـــاديا تَحَمّل سـلامـــي لا تَـــذَرْنـي مناديا

تحـــمّـــل هَـــداك الله مِنـي رســـالـــةً إلى بلدٍ إن كنتَ بالأرض هـــاديـــا

إلى قفرةٍ من نحـــو ليلـى مُـــضـلّـــةٍ بها القلـبُ مِني مـــوثَـــقٌ وفـــؤاديـا

ألا ليتَ يوماً حلّ بي من فـراقـكـم تزودتُ ذاك الـيـوم آخـــر زاديـــا

جبل ثوبان

قال موسى بن جعفر: خرج المجنون لما أصابه ما أصابه حتى أتى الشام فسأل عن أرض بني عامر، فقيل وأين أنت من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا، فرجع إلى أرض بني عامر ووقف عند جبل يقال له ثوبان فقال:

وأجهشتُ للثوبان حين رأيته ... وهلّلَ للرحمن حين رآني

وأذريتُ دمغ العين لما رأيته ... ونادى بأعلى صوته ودَعاني

فقلت له أين الذين عهدتُهم ... حوالَيكَ في خصبٍ وطيب زمان؟

فقال مَضَوْ واستودعوني بلادَهم ... ومَن ذا الذي يبقى مع الحدَثان

وإني لأبكي اليومَ مِن حَذَري غداً ... فراقكَ والحيان مؤتلفان

سِجالا وهَتّاناً ووبَلًا ودِيمةً ... وسَحّاً وتسجاماً إلى هَمَلانِ[117]

الواشون

قال الوالبي: ذُكر أن أباه الملوح وإخوته ساروا إلى الصحراء ليأخذوه ويردوه إلى الحي[118]، وأهل بيته، وذلك بعدما نحل جسمه واسود وجهه وجف جلده على عظامه، فلما وردوا عليه لقوه قاعداً على تل من رمل وهو يخط بأصبعه، فلما دنوا منه نفر، فناداه أبوه: يا قيس! أنا أبوك الملوح وهذا أخوك، فطب نفساً وأبشر فقد وعدني أن يزوجكها ويردك من نفارك وينزل عند حكمك ورضاك. فأقبل إليهم وأنس بهم، فقال له أبوه: يا قيس أما تتقي الله وتراقبه! كم تطيع هواك وتعصيني، فقد كنتَ أرجى ولدي، أفضلك عليهم وأوثرك، فأخلفتَ ظني ولم تحقق أملي، فليت شعري ما أراها ممن يوصف بالجمال والحسن، وقد بلغني أنها فوهاء[119]، قصيرة جاحظة العينين شهلة[120] سمجة، فعد عن ذكرها ولك قومك مَن هي خير لك منها. فلما سمع ثلبه فيها أنشأ يقول:

يقول لي الواشون ليلى قصيرةٌ ... فليت ذراعاً عرْضُ ليلى وطولها

وإنّ بعينيها لَعَمرك شهلةً ... فقلت كرامُ الطير شُهلٌ عيونها

وجاحـــظـــة فوهـــاءُ لا بـــأس إنـــهـــا منى كبدي بل كلُّ نـــفســـي وسُـــولـهـا[121]

فَدَقّ صِلَابَ الصخر رأسك ســـرمـداً فإني إلى حـــيـن الممـات خـلـيـلـهـا

فلما سمعوا هذه الأبيات تركوه وانصرفوا قانطين، فبينا هو ذات يوم نائم إذ مر به رجل فقال:

ألا إن ليـلـى بـالـعـــراق مـــريـــضـةً وأنت خَـلـيٌّ البـــال تلـهـو وتـرقـد

فلو كنـتَ يا مجنونُ تُضْنَى مِن الهوى لبتّ كـمـــا بـات السـلـيـم المـسَـهّـد

فخرّ المجنون مغشيّاً عليه لما سمع ذلك فلما أفاق أنشأ يقول:

يقولـون ليـلـى بـالـعـراق مـريضة فـمـالكَ لا تَضنـى وأنت صـديـقُ

سقـى الله مَـرضـى بـالـعـراق فإنني علي كـلِّ مـرضـى بـالعـراق شفيق

فإن تَـكُ ليلـى بـالـعـراق مـريـضـةً فـإنّيَ في بحـر الحـتـوف غـريـق

أهيم بأقطار البـلاد وعَـرْضـهـا وما لي إلـى ليـلـى الـغـداةَ طـريـق

كـأن فـؤادي فـيـه مُـورٍ بـقـادح وفـيـه لـهـيـبٌ سـاطـعٌ وبـروق[122]

إذا ذكرتها النفسُ مـاتـت صَـبـابـةً لـهـا زفـرةٌ قـتّـالـةٌ وشـهـيـق

سقتني شمسٌ يخجل البـدرَ نـورُهـا ويكسِف ضوء البـرق وهـو بَـروق

عَرابية الـفـرعـيـن بَـدريـة السـنـا ومنظـرها بـادي الـجـمـال أنـيـق[123]

وقد صِرتُ مجنوناً من الحب هائـمـاً كـأنّـيَ عـانٍ فـي القـيـود وثـيـق

أظل ذريحَ العقل مـا أطـعـمُ الكـرَى وللقـلـب مـنـي أنّـةٌ وخُـفـوق[124]

برى حبها جسمي وقلبي ومهـجـتي فـلـم يَبـقَ الا أعـظـمٌ وعـروق

فلا تعذلوني إن هلكتُ تَرَحّموا عليّ ففقدُ الروح ليس يعوق

وخُطّوا على قبري إذا متُّ واكتبوا قتيلُ لِحاظٍ ماتَ وهْوَ عشيق

إلى الله أشكو ما ألاقي منَ الهوى بليل ففي قلبي جوىً وحريق

شبه ليلى

وقال أيضاً:

أقول لظبيٍ مَرّ بي وهو راتعٌ ... أأنت أخو ليلى فقال يُقالُ

أيا شبهَ ليلى إن ليلى مريضَةٌ ... وأنت صحيحٌ إنّ ذا لمحالُ

وقال أيضاً:

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ ... فأقبلتُ من مِصرٍ إليها أعودُها

فوالله ما أدري إذا أنا جئتها ... أَأُبرِئُها من دائها أم أزيدُها

لا تتهكموا

وروي أن رهطاً[125] من بني أسد خرجوا إلى بلاد الشام في بعض تجارتهم فعثروا[126]، بالمجنون فقالوا: يا قيس ما منع أبا ليلى أن يتلافى أمرك ويتداركه إلا أن قد صار مشهوراً في الأمصار ذكر ما دار بينكما من الرفث والفسوق، فهلا كففت نفسك عن المعاصي وزجرتها عن القذع والأمور الفظيعة حتى يدوم لك صفاء المودة وغضارة النعمة خالياً عما أنت بصدده؟ فلما سمع مقالتهم بكى بكاءَ متوجع وأنشأ يقول:

ألا أيها القوم الذين وَشَوْا بنا ... على غير ما تقوى الإله ولا بِرِّ

ألا ينهكم عنا تُقاكم ... أم أنتم أناس قد جُبلتم على الكفر فتنتهوا

تعالوْا نقفْ صفين منّا ومنكمُ ... وندعو إلهَ الناس في وضح الفجر

على من يقول الزورَ أو يطلب الخنا ... ومن يقذف الخودَ الحصانَ ولا يدري[127]

حلفتُ بمن صلّت قريشُ وجمّرت ... له بمنًى يومَ الإفاضة والنحر[128]

وما حَلقوا من رأس كُلِّ مليبٍّ ... صبيحة عشرٍ قد مضين من الشهرِ

لقد أصبحتْ مِني حَصاناً بريئةً ... مُطهرةً ليلى من الفحش والنُّكر

من الخفِرات البيض لم تدرِ ما الخَنا ... ولم تُلفَ يوماً بعد هجعتها تسري[129]

ولا سمعوا من سائر الناس مثلها ... ولا برزتْ في يوم أضحى ولا فطر

بَرَهرهةٌ كالشمس في يوم صحوها ... منعّمةٌ لم تخطُ شبراً من الخدر[130]

هي البدر حُسناً والنساء كواكبٌ ... فشتّان ما بين الكواكب والبدر

يقولون مجنونٌ يهيم بذكرها ... ووالله ما بي من جنون ولا سحر

اذا ما قرضتُ الشعرَ في غير ذكرها ... أبَى وأبيكم أن يطاوعني شعري

فلا نعمتْ بعدي ولا عشتُ بعدها ... ودامت لنا الدنيا إلى ملتقى الحشر

عليها سلام الله من ذي صبابةٍ ... وصبٍّ مُعنًى بالوساوس والفكر

ليالي أعطيتُ البطالةَ مِقودي ... تمر الليالي والسِّنون ولا أدري

مضى لي زمانٌ لو أُخيّرُ بينه ... وبين حياتي خالداً أبد الدهر

لقلتُ ذروني ساعةً وكلامَها ... على غفلةِ الواشين ثم اقطعوا عمري

يا عقاب الوكر

ثم جعل يدور هائماً قد اشتد وسواسه وجنونه إذ مر بعقاب ساقط على وكره، فدنا وأنشأ يقول:

ألا يا عُقابَ الوكر وكر ضريّةٍ ... سقيتِ الغوادي من عقابٍ على وكرِ

أبيني لنا لا زال ريشكِ ناعماً ... ولا زلت في صيد مُخضّبة الظفر

أبيني لنا قد طال ما قد تركْتِنا ... بعمياءَ لا ندري أنُصبح أم نَسري

وقفتُ على مَرّان أنشدُ ناقتي ... وما هلكتْ لي من قلوصٍ ولا بكر[131]

وما أنشُدُ البعرانَ إلا صبابةً ... بواضحة الخدين طيبة النشر[132]

مفلّجةِ الأنياب لو أن ريقها ... يداوَى به الموتى لقاموا من القبر[133]

إذا ذُكرتْ ليلى أُسَرّ بذكرها ... كما انتفَضَ العصفورُ من بلل القطر

فقال جميعُ الناس لمّا نشدتها ... بَلَى، وفريقٌ قال والله وما ندري

تداويتُ من ليلى بليلى عن الهوى ... كما يتداوى شاربُ الخمر بالخمر

ألا زعمتْ ليلى بأنْ لا أحبُّها ... بلى ولياليِ العشر والشفع والوتر

بلى والذي لا يعلم الغيبَ غيرُه ... بقدرته تجري السفائنُ في البحر

بلى والذي نادى من الطور عبدَه ... وعظّم أيامَ الذبيحة والنحر

لقد فُضِّلتْ ليلى على الناس مثـــل مـــا على ألـــف شـهـــرٍ فُـضِّـلتْ ليلة القدر

صبراً

وقال:

فوالله ما أبكي على يـوم ولكنني من وشكِ بينكِ أجزعُ
ميتتي

فصبراً لأمر الله إن حان يَومنا فليس لأمرٍ حـــمّـــهُ الله
مدفـــع

أبيات ونغمات

قال علي بن صالح:

حججت مع أبي عيسى بن الرشيد، فبينا نسري ليلًا إذ نحن بأعرابي يترنم بأبيات سمعت والله أحسن منها، ونغمات ما كدت أسمع مثلها، وهي:

ألا هل إلى شَمِّ الخزامى ونظرةٍ إلى قرقرَى قبلَ الممات سبيلُ[134]

فأشرب من ماءِ الحجيلاءِ شربة يُداوَى بها قبل الممات عليلُ[135]

فيا أَثلاتِ القاع قد ملّ صحبتي مسيري فهل في ظلكنّ مَقيلُ[136]

ويا أَثلاتِ القاع ظاهرُ ما بدا بجسي على ما في الفؤاد دليلُ

ويا أَثلاتِ القاع من بين تُوضحٍ حنيني إلى أفيائكنّ طويلُ[137]

ويا أَثلاتِ القاع قلبي بكنّ وجدوَى خيركنّ قليلُ موكلُ

أرُومُ انحداراً نحوها فيردُّني ويمنعني دَيٌّن عليّ ثقيلُ

أحدِّث عنك النفس إذ لستُ راجعا إليك فحزني في الفؤاد دخيلُ

وقال:

أحُجّاجَ بيت الله في أي هودجٍ وفي أيِّ خدرٍ من خدروكمُ قلبي

أأبقَى أسيرَ الحب في أرض غربةٍ وحاديكمُ يحدو بقلبيَ في الرّكب

وقال:

ومغتربٌ بالموج يبكي بشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الرّكب من نحو أرضه تنفّسَ يستشفي برائحة الركب

فقال أبو عيسى: عليّ بالرجل، فتفرقت الخيل في طلبه يمنة ويسرة، فما كان إلا هنيهة حتى اتى برجل ضئيل الجسم ناحل البدن عريان، فقال له: من أنت لأمك الهبل؟ فوالله ما تنهنه أن قال أسرع من مخرج نفسه وارتداد طرفه:

أنا الوامق المشغوف والله ناصري ومنتقمي ممن يجور ويظلمُ

أنا الناحل المهموم والقائم الذي أراعِي الثريا والخَلِيّونَ نُوّمُ

أظلُّ بحزنٍ دائمٍ وأشرب كأساً فيه سمٌّ وعلقمُ وتحسّرٍ

فحتّام يا ليلى فؤادي معذّبٌ برُوحي تقضي ما تُحب وتحكم

لعمري ما لاقى جميلُ بن معمر كوجدي بليلى لا ولم يلقَ مُسلم

ولم يلق قابوس وقيسٌ وعروة ولم يلقه قبلي فصيحٌ وأعجمُ

صبا يوسف واستشعر الحبّ قلبُه ولا كاد داودٌ من الحب يَسلمُ

وبِشرٌ وهند ثم سعدٌ وتوبةٌ أضناه الهوى المتقسّمُ ووامق

وهاروتُ لاقى من جَوى الحب سطوةً وماروتُ فاجاه البلاءُ المصَمّمُ

ولم يخلُ منه المصطفى سيدُ الورى أبو القاسم الزاكي النبيٌّ المكرمُ

أبِيت صريعَ الحب أبكي مـــن الهـــوى ودمعي على خدي يـفـيـض ويـسـجُـمُ

ولولا طُروق الليـــل أودَت بـــنـفـســـه منعمةُ اللحـــظـيـــن تُـبـــري وتُـســـقـــمُ[138]

إذا هي زادت في النوى زاد في الهوى فلا قلبـــه يـــســـلـــو ولا هـــي ترحـــمُ

أعارته أنـــفـــاسَ الصـبـــا بـــك صـبـــوة لها بيـــن جـــنبـيـه سَـعـيـــرٌ مـــضـــرّمُ

ألا إن دمـــع الصـــبِّ عـــمّـــا يُجـــنِّـــهُ وإن لـــم يَـفُـــهْ يـــومـــاً بـــه مُـتـــكـــلـــمُ

لساني عَيِيٌّ في الهوى وهـــو نـــاطـــقٌ ودمعي فصيحٌ في الهوى وهو أعجـــمُ

وكيف يُطيق الصبُّ كـــتـــمـــانَ ســـــرِّه وهل يكتم الوجدَ امـــرؤٌ وهـــو مُـــغَـــرمُ

عُذَيرِيَ مِن طـيـفٍ أتى بـعـــد مُـــوهِـــنٍ بـــرامـــةَ حـــزوى عَـــرفُـــهُ يتقـــدّمُ[139]

تَـنـفّـسَ روضٌ جـــادَه مـــــاءُ مـــزنـــةٍ وأطـرافه تـبـكـــي النـــدَى ثـــم تـبْـــسَـمُ

أبو عيسى يقول:

قال له أبو عيسى: أما تحن إلى أكناف الحمى ويرتاح قلبك إلى أقطار نجد وبلاد ليلى؟ فزفر زفرة ثم رن بعدها وقال:

تَعَزّ بصبرٍ لا وجَدّكَ لا ترَى بشام الحمى إحدى الليالي الغوائر[140]

كأن فؤادي من تذكره وأهل الحمى يهفو به ريشُ طائر الحِمى

قال علي: فوالله لقد أبكانا جميعاً، ثم أمر له أبو عيسى بأثواب شريفة ودراهم كثيرة، فقلنا أيد الله الأمير إنه لمجنون ما يلبس ثوباً إلا قدّه ورماه، فعد عنه إلى ما سواه، وسله أن ينشدك بعض أشعاره. فقلنا له: هل لك أن تروي لمولانا الأمير شيئاً من شعرك؟ فطفق يبكي ويقول:

وإني وإن لم آت ليلى وأهلها لباكٍ بُكا طفلٍ عليه التمائمُ

بُكاً ليس بالنزر القليّل دائماً كما الهجر من ليلى على الدهر دائم

هجرتُك أياماً بذي الغمر إنني على هجر أيام بذي الغمر نادم

فلما مضتْ أيام ذي الغمر وارتمى بيَ الهجرُ لامتني عليك اللوائم

وإني وذاك الهجر ما تعلمينه كعازبةٍ عن طفلها وهي رائم[141]

ألم تعلمـــي أنـــي أهـــــيـــم على حين لا يبقى على الوصل هـــائـم
بـــذكـــرهـــا

أظـــل أمـــنِّـي الـنـفـــسَ إيـــاك خـالـيـــاً كمـا يـتـمـــنـى بـــاردَ المـــاء صـــائـم

أيها القلب

وقال:

ألا أيـــهـــا القـلـــب الّلـــجـــوج المـعـــذّل ... أفِقْ عنِ طلاب البيضِ إن كنـت تعقلُ[142]

أفـــقْ قـــد أفـــاق الوامـقـــون وإنـــمـــا ... تماديكَ فـــي لـــيلـى ضـــلالٌ مـضـلّـلُ

سلا كلُّ ذي ودٍّ عن الحـب وارْعـوَى ... وأنتَ بـــلـيـــلـى مُـــسـتـهـــامٌ مُـــوَكّـــلُ

فقال فـــؤادي: ما اجتـــررتُ مـــلامـــةً ... إلـــيـــكَ ولـكـــن أنتَ باللـــوم تَـعـجـــلُ

فـعـيـنـك لُـمْـهـــا إنّ عيـنـك حـــمّـلـتْ ... فـــؤادكَ مـــا يعيـــا بـــه المـتـــحـمّـــلُ

لحـــى الله مـــن بـــاع الخـلـيـلَ بغيـــره ... فقـلـــتُ نـعـــم حـاشاك إن كنتَ تفعلُ

وقـلـت لـهـــا بـالله يا لـيـــلُ ... أبـــرّ وأوفـى بـالـعـهـود وأوْصـلُ إنـنـــي

هَبـــي أننـي أذنـبـــتُ ذنـبـا عـلـمـتِـهِ ... ولا ذنب لي يا ليـلُ فـالصـفـح أجملُ

فإن شئتِ هاتي نازعيني خـصـومـةً ... وإن شـئـت قـــتـلا إن حكـمـك أعدلُ

نهـاري نهـارٌ طـال حـتـى مـلـلـتُـه ... وليلِـى إذا مـا جـنّـنـي الـلـيـلُ أطـولُ

وكنـت كـذئـب السـوء إذ قـال مـرةً ... لبهم رعت والـذئـبُ غـرثـانُ مُـرمِلُ[143]

ألستِ التي من غير شـيء شـتـمـتـني ... فـقـالـت مـتـى ذا؟ قـال ذا عـام أولُ

فقالت وُلـدت العـام بـل رُمـتَ كـذبةً ... فـهـاك فـكـلـنـي لا يَهـنـيـك مـأكـلُ

وكنت كـذبّـاح الـعـصـافـيـر دائـبـاً ... وعيـناه مِـن وَجْـدٍ علـيـهـن تُـهـمـلُ

فلا تنظري ليلى إلـى العـين وانظري ... إلى الكف ماذا بالعصـافـيـر تـفـعـلُ

وقال:

أقــول لصــاحبــي والـعـيـسُ تهــوي بنــا بيــن الـمـنُـيـفــةِ فــالـضِّــمــارِ[144]

تــــمـتـع مــن شـمـيــم عــرارِ نـجــدٍ فـمـا بـعـد الـعـشـيـة مـن عَـــرار[145]

ألا يــا حــبــذا نـفـحــاتُ نــجــداً وَرَيّــا روضــــةٍ غِـبِّ الـقـطــار[146]

وأهــلُــكَ إذ يـحــل الــحــيُّ نجــداً وأنـتَ عـلـى زمــانــك غـيــرُ زار[147]

شهورٌ ينـقـضـيــن ومـا شـعـرنـا بـأنـصــاف لـهــنّ ولا سَــرار[148]

فأمــا لـيـلـهــن فـخــيــرُ لـيــلٍ وأطـولُ مـا يـكـون مـن الـنـهــار

وقال:

من أجل سار فـي دجـى الـلـيـل لامــع جفــت حَـذارَ البـيـن لـيـن المضـاجعُ

عــلامَ تخـاف البيــنَ والبـيـنُ نـافــعٌ إذا كـان قــربُ الدار لـيــس بـنـافــعُ

إذا لم تزل مـمــن تـحــب مـروعــا بـغـدرٍ فـإن الـبـيــن لـيــس بـرائــعُ

وقال:

سأبـكـي عـلـى مــا فـات مـني صبابةً وأنــدُبُ أيــامَ الـسـرور الــذواهــبِ

وأمــنــع عـيـنـي أن تـلــذّ بـغـيـركــم وإنـي وإن جـانـبـتِ غـيــر مـجـانـب

وخـيــر زمــانٍ كـنــتُ أرجــو دُنُــوّه رَمتني عيــون النـاس مـن كل جانب

فأصبحتُ مرحومـــاُ وكـــنـــت مـحـسّـداً فصبراً على مكروهـهـــا والـعـــواقـب
ولم أرهـــا إلا ثـــلاثـــاً عـلـــى مِـنًـى وعهـــدي بها عـــذراء ذات الـــذوائـب
تبدّت لنا كالشمس تحـــت غـــمـــامـــةٍ بدا حاجبٌ منها وضَاحـت بـــحـاجـــب

وقال أيضاً:

أحـــنّ إذا رأيتُ جِـــمـــال قـــومـــي وأبكـــي إن سـمـعـــت لـهـــا حـــنـيـنـــا
سـقـى الغيثُ المـــجـيدُ بلادَ قـــومـــي وإن خـلـــت الـديـــارُ وإن بـلِـــيـــنـا
علـــى نـــجـــدٍ وســـاكـــنِ أرض نـجـــدٍ تحيـــاتٌ يَـــرُحـــنَ ويـــغـــتـديـنـا

وقال أيضاً:

بنفسي مَـــن لا بـدّ لـــي أن أهـــاجـــرُه ومَن أنا في الميسور والعُســـر ذاكرُهْ
ومَن قد رَماه الناس بـــي فـاتـقـــاهـــمُ بهـــجـــري إلّا مـــا تُجِـــنّ ضـمـــائـــرُه
فمن أجلها ضاقتْ عـلـــيّ بـرحـــبـهـا بلادي إذا لـم أرضَ مـمـــن أجـــاورُه
ومِن أجـلـهـا أحـــبـبتُ مَـــن لا يُحـبني وباغضتُ من قد كنتُ حِيناً أعاشـــرُه
أتـهـــجـــرُ بـيـتاً للـحـــبـيـب تـعـلّـقـــتْ به الحـــبّ والإعـدامُ أم أنـتَ زائـــرُه
وكيف خلاصي من جوى الحب بعدَما يُسَـرّ بـــه بـطـــنُ الـفـــؤادِ وظـــاهـــرُه
وقد مات قبلى أوّل الحـبِ فانـقـــضَى فإن مِتّ أضحى الحبّ قد مـات آخرُه
وقد كـــان قلـبي فـــي حجـابٍ يُكـنّـــه فحبـــكِ مِـــن دون الحجـاب يباشـــرُه
أصـــدّ حـيـــاءً أن يـلـــجّ بـيَ الـهَـــوى وفيـك الـمـــنـى لـــولا عـــدوٌ أحـــاذرُه

وقال أيضاً:

يا مَـــن شُغـلـتُ بـهـجـــره ووِصـــالـــه هِممُ المنى ونسيتُ يـــوم مَـعـــادي

والله مـــا الـتـــفَـــتَ الجفـــونُ بـــنـظـــرةٍ إلا وذِكـــــركَ خـــــاطـــــرٌ بـــفـــؤادي

وقال أيضاً:

ومفروشـــةِ الخـــدّين وَرداً مضـــرّجـــا إذا جـــمّـــشَـــتْهُ العـــيـــنُ عـــادَ بنفسجـا[149]

شكوتُ إليهـــا طـــول لـــيلي بـعـبـــرةٍ فـــأبـــدت لـنـــا بالغنْـــج دُرّاً مُفـــلـــجـــا[150]

فقلت لهـــا مُـــنّـــي عـــلـــيّ بـــقـــبـــلـــةٍ أداوي بهـــا قـــلـــبـي فـــقـــالـت تَـغَـنّجا

بُليتُ بردفٍ لستُ أَسطيعُ حـــمـــلـــه يجاذب أعضـائـي إذا مـــا تَـــرَجـــرَجا

وقال أيضاً:

فـؤادي بيـــــن أضـــــلاعي غـــــريـبُ ينـــادي مَـــــن يحـــبٌ فـــلا يـجـيـب

أحـــاطَ بـــــه الـــبـــلاءُ فـكـــــلٌ يـــــومٍ تقـــارعه الصـبـابـــة والـــــنـــــحـيب

لـقـــد جـلـــــب البـــلاءَ عـلـــيّ قـلـبـي فقلبـــي مـــذ عـلـمـــتُ لـــه جَـــلـــوب

وإنْ تكـنِ القـــلـوبُ كـمـثـلِ قـلـــبـــي فـــــلا كـــانـتْ إذاً تـــــلـك الـقـلـــوبُ

وقال أيضاً:

ومستـــوحشٌ لـــم يُمس في دار غربـةٍ ولكنـــه مـمـــــن يـــــودٌ غـــــــريـب

وقال أيضاً:

بيضـــاءَ بـــاكـــرها النـعـيـم كـــأنـــهـــا قمرٌ توسّـــط جنـــحَ لـــــيـلٍ أســـــود

موســـومـــة بـالـحـسـن ذات حـــواســـد إن الحســـان مـــظـــــنـة للـحـسّـــــدِ

وتـــرى مـــــدامـعـهـــا تـــرقـــرق مُقلةً سوداء تـرغـــب عـــن ســـوادِ الإثـمـــد[151]

خَـــوْدٌ إذا كـــــثر الـكـــــلامُ تـعـــوّذت بـحـمـى الحـيـــاءِ وإن تكـلّـــمْ تُـقـصـــدِ[152]

وقال أيضاً:

أحـــنّ إلـــى نـجـــــدٍ وإنـــي لايـــسٌ طوالَ الليـالـــي مـــن قفـــولٍ إلـى نجـد

وإن يـــكُ لا لـــيلى ولا نجدُ فاعتـــرفْ بهـــجـرٍ إلـى يـــوم الـقـيـــامـة والـــوعـد

وقال أيضاً:

ألا إنما أفـــنـى دمـــوعـــي وشـــفّـــني خـــروجي وتـــركِي مَن أحـب وَرائـيـا

وما لـــيَ لا يستنفـدُ الشـــوق عـبرتـــي إذا كـنتُ مِـــن دارِ الأحـبـةِ نـــــائـيـــا

إذا لم أجِدْ عـــذراً لنفســـي ولـــمـتُـهـــا حمـلـتُ عـــلـى الأقـدار ما كان جاريا

قال: فرغ من إنشاد هذه الأشعار ظهر له غزالان في أصل جبل، فتبعهما حتى وقف بحذائهما وجعل ينظر إليهما ويبكي **ويقول:**

أيـــا جـــبـلّ الثـلـج الـــذي فـــي ظـلاله غـــزالان مـــكـحـــولان مـــؤتـلـفـــانِ

غـــزالان شَـــبّا فـي نـعـيم وغـــبـطـةٍ ورَغـدةِ عـــــيـشٍ نـاعـمٍ عَـطِـــران

أرَغتهـمـــا خـــتـلًا فـلـم أستطعـهـمـا ففـرّا وشـــيـكـــاً بـعـد مـا قـــتـلانـــي

خـلـيـلـــيّ أمّـــا أمٌ عـمـــروٍ فـمـنـهـمـا وأمـــا عـــن الأخـــرى فـــلا تسَـــلاني

فمـــا صـــاديـــاتٌ جِمنَ يومـــاً ولـيـلـــة على المـاء دون الوِردِ هُـــنّ حـــوان[153]

يرَيْنَ حَبَابَ المـــاءِ والمـــوتُ دُونـــه وهـــــنّ لأصـــواتِ الســـقـــاء رَوان[154]

بأكثرَ مـــني حـــســـرةً وصـــبـــابـــةً إليهـــا ولـــكـــــن الـــفـــراق غـــراني

خلـــيـــلـــيّ إنـــي مـــيـــتٌ أم مُـــكـــلـــمٌ لليلـــى بحـــاجـــي فامـضـيـا وذرانـــي[155]

أقِلْ حاجتي وحدي فيـا رُبّ حـــاجـــةٍ قضيّت علـى هـــولٍ وخـــوفِ مكـــان

وإنّ أحـــقّ النـــاس مـــنـــي تحـــيـــةً وشوقاً لها مَـن لـــو يـشـاء شـقـــانـــي

ومَن قادني للموت حتـــى إذا صَـفـــتْ مشـــاربـــه سُـــمّ الـــزُّعـــافِ سـقـــاني

وقال أيضاً:

أحبـــك حـــبـاً لـــــو نـحـــبـيـن مـــثـلـــه أصـــابـــك مِـــن وجـــدٍ علـــيّ جـنـون

وصـــرتُ بـقـلـــبٍ عـــاش أمـا نهارُه فـــحـــزنٌ وأمـــا لـيـلـــه فـــأنـيـــن

● ثم نهض من الواديين ومر على وجهه يدور في الصحراء فمر برجلين قد قنصا ظبياً وربطاه، فدنا منهما المجنون وتأمله ساعة ثم قال لهما اختارا شاةً من غنمي مكانه وخلياه، فأبيا عليه، فلم يزل بهما حتى أعطاهما أربع شياه من غنمه مكانه، ثم خلياه، فأنشأ يقول:

شريـتُ بشـاتـي شـبـهَ ليلى ولـو أبـوا لأعـطـيـتُ مـن مالي طريفي وتالدِي

فلو كنتما حُـرّين مـا بـعـتـمـا معـاً شبيهـــاً لليـلـى بـيـعـةَ الـمـتـزايـد

وأعتقتمـاهـا رغـبـةً فـي ثـوابـهـا ولم ترغبا فـي نـاقـصٍ غـيـرِ زائد

وقال أيضاً:

يا صاحبيّ اللذين اليوم قد أخذا ... في الحبلِ شبهاً لليلى ثم غلّاها

إني أرى اليومَ في أعطاف حبلكما ... مشابها أشبهتْ ليلى فحُلّاها

وأرشِداها إلى خضراءَ معشبة ... يوماً وإن طلبتْ إلفاً فدُلّاها

وأوردِاها غديراً لا عدِمتكما ... من ماء مُزنٍ مريبٍ عند مرعاها

● ثم أنه مر ببني عمه، وكانوا معادين له يسخرون منه ويهزؤون به ويقولون كيف ليلى وكيف حبك لها؟ فإذا ذكرت ليلى له رجع إليه عقله فيجلس إليهم يحدثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر. فيقولون والله ما به من جنون وإنه لعاقل، فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العبرة[156] وأنشأ **يقول:**

أيا ويح من أمسى يُخَلّسُ عقله ... فأصبح مذهوباً به كُلّ مذهب

خليعاً من الخلان إلا معذّباً ... يضاحكني مَن كان يهوى تجنّبي

إذا ذُكرت ليلى عقلتُ وراجعتْ ... روائعُ قلبي مِن هوًى متشعب

وقالوا صحيحٌ ما به طيف جنةٍ ... ولا الهمٌ إلا بافتراء التكذّب

ولي سقطاتٌ حين أغفل ذكرها ... يغوصُ عليها مَن أراد تَعَقّبي

وشاهدُ وَجدي دمعُ عيني وحبها ... برَى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكبي

تجنبتُ ليلى أن يلجّ بي الهوَى ... وهيهات كان الحب قبل التجنب

فما مغزَلٌ أدماءُ بات غزالها ... بأسفل نُهْيٍ ذِي عِرارٍ وخُلّب[157]

بأحسنَ من ليلى ولا أمّ فرقد ... غضيضةُ طرف رعيُها وسطَ رَبرب[158]

نظرتُ خلال الركب في رونق الضحى ... بعينَيْ قَطاميٍّ نما فوق عُرقب[159]

إلى ظُعنٍ تُحدَى كأنّ زهاءها ... نواعمُ أثلٍ أو سُقياتُ أثلِب[160]

ولم أر ليلى غير مَوقفِ ساعةٍ ... ببطنِ منى ترمي جمارَ المحصّب[161]

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقاب نَجم مغرّب

ألا إنما غادَرتِ يا أمّ مالكٍ ... صدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذهب

حلفتُ بمن أرسى ثبيراً مكانه ... عليه ضبابٌ مثلُ رأس المعَصّب[162]

وما يسلُك الموْماةُ من كل نقصة ... طليحٌ كجفن السيف تهدَى لِمَركب[163]

خوارج من نعمانَ أو من سُفوحه ... إلى البيت أو يَطلعْن من نجد كبكب[164]

له حظّهُ الأوفى إذا كان غائبا ... وإن جاء يبغي نَيلنا لم يؤنّب

لقد عشتُ من ليلى زماناً أُحبها ... أرى الموت منها في مجيئي ومذهبي

ولما رأت أن التفرق فلتةٌ ... وأنّا متى ما نفترق نتشعب

أشارت بموشوم كأن بَنانه ... من اللين هُدّابُ الدمقس المهذّب[165]

أيا جبلي نعمان

قال عوانة:

خرج منا رجل إلى وادي القرى مع جماعة يمتارون[166]، فمروا على طريقهم وعثروا بالمجنون، فقالوا يا قيس نراك محباً لليلى؟ فقال نعم، قالوا أفلا تأتي جبلي نعمان؟ قال فأية ريح تهب من أرضها؟ قالوا: الصبا، فأقام بها وأنشأ يقول:

أيا جبَلَيْ نعمانَ بالله خليّا ... سَبيلَ الصّبا يَخلُصْ إليّ نسيمُها

أجدْ بردَها أو يُشْفِ مني حرارةً ... على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمها

فإنّ الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت ... علىَ نفس محزونٍ تجلتْ همومها

ليالِيَ أهلونا بنعمانَ جيرةٌ ... وإذْ نحن نُرضيها بدارٍ نقيمها

ألا إن أدوائي بِليلىَ قديمةٌ ... وأقتَلُ داءِ العاشقين قديمها

تذكرتُ وصلَ الناعجيّاتِ بالضحى ... ولذةَ عيشٍ، قدْ تولّى نعيمها

وأنتِ التي هيجتِ عيني بالبكا ... فأسجمَ عُرْباها فطالَ سَجومها[167]

وقد قذيتْ عيني بليلى وأتبعتْ ... قذاعا وقد يأتي على العين شومها[168]

خليليّ قوما بالعصابةِ فاعصبا ... على كبدٍ لم يبق إلا رَميمها[169]

وقال

خليلَي مُرّا بي على الأبرقِ الفردِ ... وعهدي بليلى حبذا ذاك من عهدِ[170]

ألا يا صبا نجدٍ متى هجتِ من نجد ... فقد زادني مَسْراكِ وَجداً على وجدي

إذا هتفتْ ورقاءُ في رونق الضحى ... على فننٍ غضّ النباتِ من الرّندِ[171]

بكيتُ كما يبكي الوليد ولم أزلْ ... جليداً وأبديتُ الذي لم أكن أُبدي

وأصبحتُ قد قضّيتُ كلّ لبانةٍ ... تهاميّة واشتاق قلبي إلى نَجدِ[172]

إذا وعدتْ زاد الهوى لانتظارها ... وإن بخلتْ بالوعدِ متّ على الوعد

وإنْ قربتْ داراً بكيتُ وإن نأتْ ... كلفتُ فلا للقرب أسلو ولا البعد

أحنّ إلى نجدٍ وطيب ترابه ... وأرواحه إن كان نجدٌ على العهد[173]

ألا حبذا نجد وطيب ترابه ... وأرواحه إن كان نجد على العهد

وقد زعموا أن المحبّ إذا دنا ... يُملّ وأن النأي يَشفي من الوجد

بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قربَ الدار خيرٌ من البعد

على أنّ قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذي ود

الشوق

ثم مضى على وجهه واشتد به الشوق فكان لا يلبس قميصا إلا خرقه، ولا درعاً إلا مزقه. وترك محادثة الناس وصار لا يفقه شيئاً، قد اختلس لبه واختطفه الأحزان والكرب، وخامره الجنون وعلاه الأمر الفظيع، فإذا ذكرت له ليلى آب إليه عاقله وأفاق من غشيته وتجلت عنه غمرته، فإذا قطع ذكرها عاد إلى وسواسه وسوء حاله، يأنس بالوحش ويستريح إليه، ويتنسم الريح من تلقاء نجد.

أيا هجر ليلى

قال الوالبي: ثم ولي عليهم نوفل بن مساحق، قال: فبينما نوفل في بعض طريقه إذ مر برجل عريان كأصبح ما يكون من الرجال وهو قاعد يلعب بالتراب قد جمع العظام حوله، فدنا منه فقال "والله ما رأيت أعجب من هذا الفتى، يا غلام اطرح عليه ثوباً" فقال له بعض أصحابه أتدري من هذا؟ قال لا، قالوا هذا مجنون بني عامر، قال نوفل: والله لقد كنت أحبه وأحب لقاءه فكيف لي بالدنو منه؟ قيل له إذا ذكرتَ له ليلى فإنه يأنس. فدنا منه نوفل وقال: أيها المشغوف إن ليلى تقرا[174] عليك السلام. فلما ذكرها رجع إليه عقله وأقبل إليه يحدثه كأصح ما يكون. من الرجال وهو يبكي وينكت الأرض بأصبعه **ويقول:**

أيا هجرَ ليلى قد بلغتَ بِي المدى ... وزدتَ على ما لم يكن بلغ الهجرُ

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ

فيا حبها زِدني جوًى كلّ ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ

تكاد يدِي تندَى إذا ما لمستُها ... وينبت في أطرافها الورق النضرُ

ووجه له ديباجةٌ قرشيةٌ ... به تُكشف البلوى ويُستنزل القطرُ

ويهتز من تحت الثياب قَوامها ... كما اهتز غصن البان والفنن الخضرُ

فيا حبذا الأحياءُ ما دمت فيهم ... ويا حبذا الأموات إن ضمك القبرُ

وإني لتعروني لذكراكِ نفضة ... كما انتفض العصفور بلله القطرُ

عسى إن حججنا واعتمرنا وحُرِّمت ... زيارةُ ليلى أن يكون لنا الأجرُ

فما هو إلا أن أراها فُجاءةً ... فأُبهتُ لا عُرفٌ لديَّ ولا نكرُ

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا ... وبالصخرة الصماء لانْصدَعَ الصخرُ

ولو أن ما بي بالوحوش لما رعتْ ... ولا ساغَها الماءُ النميرُ ولا الزهرُ[175]

ولو أن ما بي بالبحار لما جرى ... بأمواجها بحرٌ إذا زجر البحر

قال له نوفل:

الحب صيّرك إلى ما أرى؟ قال: اللهم نعم وسيبلغ بي أكثر مما ترى، واندفع ينشد:

أيا حدجاتِ الحي حين تحملوا ... بذي سَلمٍ لا جادكنّ ربيعُ[176]

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى ... بُلينَ بِلىً ما إنْ لهنّ رُجوع

إلى الله أشكو نيةً شقّت العصا ... هي اليوم شتى وهي أمسُ جميع

فلو لم يهجني الطاعنون لهاجني ... نوائحُ ورقٌ في الديار وقُوع

تداعين فاستبكين مَن كان ذا هوًى ... نوائحُ لا تجري لهن دموع

لعمري إني يوم جرعاء مالكٍ ... لعاصٍ لأمرِ العاذلين مطيع[177]

وما كاد قلبي بعد أيام جاوزتْ ... إليّ بأجوازِ البَدِيّ يُريع[178]

وإنّ انهمال الدمع يَا ليلُ كلما ... ذكرتكِ يوماً خالياً لسريع

ندمتُ على ما كان مني ندامةً ... كما ندم المغبونُ حين يبيع

لعمرك ما شيءٌ سمعتُ بذكره ... كبينك يأتي بغتةً فيروع

عدمتكِ من نفسٍ شعاع فإنني ... نهيتكِ عن هذا وأنتِ جميعَ[179]

فقرّبت لي غير القريب وأشرفتْ ... هناك ثنايا ما لهنّ طلوع

يضعّفني حبّيكِ حتى كأنني ... من الأهل والمال التليد نزيع

وحتى دعاني الناسُ أحمقَ مائقا ... وقالوا تبوعٌ للضلال مطيع

وقال أيضاً:

خليليّ هذا الربع أعلمُ آيةً ... فبالله عُوجا ساعةً ثم سَلّما[180]

ألم تعلما أني بذلتُ مودتي ... لليلى وأن الحبْل منها تصرّما[181]

سألتكما بالله لمّا قضيتما ... عليّ فقد وُليتما الحكمَ فاحكما

بجودي على ليلى بودي وبخلها ... عليّ، سَلاها أيّنا كان أظلما

أحنّ إليها كلما ذرّ شارقٌ ... كحب النصارى قدسَ عيسى ابن مريما

فوالله ثم الله إني لصادقٌ ... لذكرك في قلب أجلّ وأعظما

كلامكِ أشهى فاعلمي لو أنالُه ... إلى النفس من بُرْدِ الشراب على الظما

ووالله ما أحببتُ حبك فاعلمي ... لنكرٍ ولا أحببت حبك مأثما

لقد أكثر اللوّامُ فيكِ مَلامتي ... وكانوا لما أبدوا من اللوم ألوما

وقد أرسلتْ ليلى إليّ رسولها ... بأنِ ائتنا سراً إذا الليلُ أظلما

فجئتُ على خوفٍ وكنتُ معوذاً ... أحاذرِ إيقاظاً عداةً ونوّما

فبتٌ وباتت لم نهمّ بريبةٍ ... ولم نجترح يا صاحِ والله مَحْرَماً

وكيف أعزي القلب عنها وقد أورثتْ في القلب داءً مكتّما تجلداً

فلو أنها تدعو الحَمامَ أجابها ... ولو كلّمت ميْتاً إذاً لتكلّما

ولو مسحت بالكف أعمى لأذهبتْ ... عماه وشيكاً ثم عاد بلا عمى

منعّمةً تسبي الحليمَ بوجهها ... تزيّن منها عفةً وتكرّما

فتلك التي مَن كان داءً وهاروتُ كلّ السحر منها تعلما.
دواؤه

* * *

● فلما أتم هذه الأبيات قال له نوفل: هل لك أن تجيء معي حتى أقدم بلادك وأخطبها لك وأرغبهم في جميع ما يحتاجون إليه؟ قال هل أنت فاعل ذلك؟ قال "نعم والله إن خرجت معي لأجهدن ولو غرمت فيك ملكي وما حوته يدي، ثم أمر فأدخل الحمام وأمر الحجام فأخذ شعره، وغير حليته وكساه كسوة فاخرة، فلما خرج نوفل أخرج المجنون معه، فلما كان بالقرب من بلادهم بلغهم ذلك فتلقوه بالسلاح الشاكي" وقالوا "والله لا يدخل المجنون منزلنا أبداً وقد أهدر السلطان دمه" وأقبل عليهم نوفل وأدبر فأبوا إلا المحاربة وتشمروا للمقارعة، فلما رأى نوفل ذلك قال "انصرف فإن الأمر عندهم لصعب" فانصرف المجنون عنه بخيبة، وقد كان أمر له نوفل بقلائص فردها عليه، وقال: ما وفيتَ لي بالعهد ثلاثاً، وأنشأ يقول:

رَددتُ قلائصَ القرشي لما ... رأيتُ النقضَ منه للعهودِ

وراحوا مقصرين وخلّفوني ... إلى حزْنٍ أعالجه شديد

أحبُّ السبتَ مِن كلفي بليلى ... كأني يومَ ذاك من اليهود

توحش المجنون

وحُدِّثتُ عن أبي عمرو الشيباني[182] قال[183]: كان سبب توحش المجنون أنه كان ذات يوم بقرية فناداه مناد وهو يقول:

كلانا يا أخَيَّ نحب ليلي ... بفيّ وفيكَ مِن ليلى التُرابُ

لقد خُتلتْ فؤادَك ثم باتتْ بقلبي فهو مهمومٌ مصاب

قال: فتنفس الصعداء وغشي عليه ساعة، فكان سبب توحشه هذه الأبيات.

حكاية الناس

قال أبو بكر الوالبي: لما انصرف المجنون عن نوفل بخيبة، وأبى أهلها أن يزوّجوها منه، مرّ على وجهه والصبيان يصيحون "من أراد أن يرى عاشقاً سميناً فلينظر إلى هذا" فأنشأ يقول:

أرى الناس أمّا من تجدّد وصله ... فغثٌ وأما من خلا فسمينُ

تُخَبِّرني الأحلام أنّي أراكمُ ... فيا ليتَ أحلام المنام يقينُ

شهدتْ بأني لم أخنك مودةً ... وأني بكم حتى الممات ضنينُ

وأن فؤادي لا يلين إلى هوًى ... سواكِ وإن قالوا بَلَى سَيلينُ

وقال أيضاً:

أنْفسُ العاشقين للشوق مَرضى ... وبلاءٌ المحب لا يَتقضّى

عبراتُ المحب كيف تراها ... بعضها يستحثّ في الخد بعضا

ليس يخلو أخو الهوى أن تراه ... كلّ يومٍ يُلام أو يَترضّى

باكياً ساهياً نحيلاً ذليلاً ... ليس يهدا وليس يطعم غمضا

وقال أيضاً:

ألا ليتنا كنا غزالين نرتعي ... رياضاً من الحوزان في بلدٍ قفرِ

ألا ليتنا كنا حمامَيْ مفازةٍ الطير ونأوي بالعِشيِّ إلى وكر

ألا ليتنا حرتان في البحر نرتمي إذا نحن أمسينا نَلجّجُ في البحر

ويا ليتنا نحيا جميعاً وليتنا نصير إذا متنا ضجيعين في قبر

ضجيعينْ في قبرٍ عن الناس معزلٍ ونُقْرَن يوم البعث والحشر والنشر

أراعِي الفرقدين مع الثريا كذاك الحب أهونُه شديدُ[184]

علقتُ مليحةَ الخدين وَرداً تشبّه حسنَ مطلعها السعودُ[185]

أهيم بذكرها وأظل إذا ضمتْ جنائزنا اللحودُ صَبّاً

قال: فبينما هو ذات يوم يدور إذ أبصر سرباً من الظباء، فأنشأ مقول:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إني إذاً لصبورُ

هَبوني امرأً منكم أضل بعيرَه له ذمّةٌ إن الذمام كبير

ولِلصاحب المتروك أعظمُ حرمةٍ على صاحبٍ من أن يضلّ بعير

عفا الله عن ليلى الغداةَ فإنها إذا وليتَ حكماً عليّ تجور

فما أكثرَ الأخبارَ أنْ قد تزوّجت فهل يأتينّي بالطلاق بشير

وتذكر ليلى

وقيل: خرج الملوح أبو المجنون في عدة من عشيرته ومعه المجنون وذلك قبل أن يفشو أمره، فمر بواد يقال له "البلاكث" فبينما هم في سيرهم إذ قال المجنون لفتى منهم كان يأنس به ويفشي سره إليه "ويحك إني ذكرت ليلى ولا بد والله من الانصراف فإن نفسي تكاد تهلك شوقاً إليها" فناشده، فأبى، فقال "استأذن أباك" فقال "إذاً لا يأذن لي ولكن أنا منصرف وحدي" قال "وأنا معك ولكني أعلم أخي" فأعلمه فقال "وأنا معكما". فتخلفوا كأنهم يقضون حاجة ثم عبروا وحولوا رؤوس إبلهم. وقال:

بينما نحن بالبلاكثِ عِ سراعا والعيسُ تهوِي هُويّا بالقا

خطرتْ خطرةٌ على القلبِ من ذكـ راكِ وَهناً فما استطعتُ مضبّا

قلتُ لبّيكِ إذ دعاني لكِ الشو قُ وللحاديين كرٌ المطيّا

قال الوالبي: فلما طار به الوجد[186] ولم يقدر على النظر، خرج متنكراً يريد حي ليلى، فلما انتهى إلى قرب الحي بقي محيراً لم يدر كيف يحتال ويصنع في دخول الحي عسى أن ينظر إليها

نظرة، فبينما هو كذلك إذ رأى عجوزاً معها سائل في عنقه سلسلة قدور به على الأبواب، فقال يا عجوز ما تريدين من هذا السائل؟ قالت "نصف ما يأخذ" قال "ضعي هذه السلسلة على عنقي وخذي ما عليّ من الثياب" فوضعتها على عنقه وأقبلت تدور به على الأبواب والصبيان يرمونه بالحجارة ويصيحون بالكلاب عليه، فلما صار قريباً من خباء ليلى أنشد **يقول:**

هنيئاً مريئاً ما أخذتِ وليتني ... أراها وأعطي كل يوم ثيابيا

ويا ليتها تدري بأنّي خليلها ... وأني أنا الباكي عليها بُكائيا

خليليّ لو أبصرتماني وأهلها ... لديّ حضورٌ خلتماني سوائيا[187]

ولما دخلتُ الحيّ خلفتُ مُوقِدي ... بسلسلةٍ أسعى أجرٌ ردائيا

أميلُ برأسي ساعةً وتقودني ... عجوزٌ من السوّال تسعى أماميا

وقد أحقد الصبيانُ بي وتجمعوا ... عليّ وشدّوا بالكلاب ضواريا

نظرتُ إلى ليلى فلم أملك البكا ... فقلت ارحموا ضعفي وشدةَ ما بيا

فقامت هَيوباً والنسا من أجلها ... تمشّين نحوي إذ سمعن بكائيا[188]

معذّبتي لولاكِ ما كنتُ سائلا ... أدور على الأبواب في الناس عاريا

وقائلة وارَحمةً لشبابه ... فقلت أجل وارحمةً لشبابيا

أصاحبةَ المسكينِ ماذا أصابه ... وما باله يمشي الوَجَى متناهيا[189]

وما باله يبكي فقلتِ لِما به ... ألا إنما أبكي لها لا لما بيا

بني عمّ ليلى مَن لكم غير أنني ... مُجيدٌ لليلى ما حَييتُ القوافيا

ودَدتُ على طِيبِ الحياة لو انها يزاد لليلى عمرُها مِن حياتيا

فما زادني الواشون إلا صبابةً وما زادني الناهون إلا أعاديا

فيا أهلَ ليلى كثّرَ الله فيكمُ من امثالها حتى تَجودوا بها ليا

فما مسّ جنبي الأرضَ حتى ذكرتها وإلا وجدتُ ريحها في ثنائيا

طبيبان

فلما فرغ من شعره مر على وجهه عرياناً لا يلوي[190] على شيء، فمر بطبيبين وهما على قارعة الطريق فدنا منهما وقال: هل فيكما من يداويني؟ قالا: من أنت؟ قال: المجنون المستهام، قالا: ما للعشاق عندنا دواء هو أبلغ من حبيب ضجيع إلى جنبه. فقال:

طبيبانِ لو داويتماني أُجِرْتما ... فما لكما تستغنيان عن الأجرِ

فقالا بحزنٍ: ما لكَ اليومَ حيلة ... فمتْ كمداً أو عَزِّ نفسك بالصبر

وقالوا دواء الحب غالٍ وداؤه ... رخيص ولا ينبيكَ شيءٌ كمن يدري

فما برحا حتى كتبتُ وصيتي ... ونشرت أكفاني وقلتُ احفروا قبري

فما خيرُ عشقٍ ليس يقتل أهلَه ... كما قتل العشاقَ في سالفِ الدهر

ألا حبذا البيض الأوانس كالدُّمى ... وإن أكُنّ يسكرن الفتى أيما سكر

قال: فما مضى إلا قليل إذ هو بغراب ساقط على شجره ينعق فدنا منه وقال:

ألا يا غرابَ البين هيّجتَ لوعتي ... فريحك خبرني بما أنت تصرخ

أبا البين من ليلى فإن كنتَ صادقاً ... فلا زال عظمٌ من جناحك يُفسخ[191]

ولا زال رامٍ فيك فوّق سهمه ... فلا أنت في عشٍّ ولا أنت تُفرخ[192]

ولا زلتَ عن عذب المياه منفّرا ووكرك مهدوماً وبيضك يُرضخ[193]

فإن طرتَ أردَتكَ الحتوف وإن تقعْ تَقَيّض ثعبانٌ بوجهك ينفخ[194]

وعانيت قبل الموت لحمَكَ مشدَخا على جمرٍ حَرِّ النار يُشوى ويُطبخ

ولا زلتَ في شر العذاب مخلّدا وريشك منتوف ولحمك يشرخ

وقال:

أقول وقد صاح ابنُ دأبةَ غدوةً ببعد النَوى لا أخطأتك الشبائك[195]

أفي كل يومٍ رائعي أنت روعةً بتبيونةِ الأحباب إلفك فارك[196]

ولا بضتَ في خضراءَ ما عشتَ بيضة وضاقت برحبيها عليك المسالك

وفارقتَ أم الأفرُخ السوء عن قلًى وناحت على ابنيك الضروسُ المماحك[197]

وأصبحتَ من بين الأحبة هالكاً كما انا من بين الأحبة هالك

وقال:

أمن أجل غربانٍ تَصايحن غدوةً ببينونة الأحباب دمعك سافحُ

نعم جادت العينان مِني بعبرةٍ كما سُلّ مِن نظم اللآتي تَطارُح

ألا يا غرابَ البين لا صحتَ بعده وأُمِكنَ من أوداج حلقك ذابح

يَرُوع قلوبَ العاشقين ذوي الهوى إذا أمنوا الشنحاجَ أنك صائح[198]

وعدّ سواءَ الحبِّ واتركه وكنْ رجلًا واجمح كما هو جامح خاليا

ثم مضى على وجهه، فبينما هو يدور إذ مر بأطيار على أشجار يجاوب بعضها بعضا ويهدرن، فدنا منهن وقال:

ألا يا حمامات الحِمَى عُدْنَ عودةً ... فإني إلى أصواتكن حَنونُ

فعدنَ فلما عُدْنَ عُدن لشقوتي ... وكدتُ بأسرارٍ لهن أبينُ

وعدن بقَرقار الهدير كأنما ... شربنَ مُداماً أو بهنّ جنونُ[199]

فلم ترَعيني مثلهنّ حمائماً ... بكين فلم تدمع لهنّ عيونُ

وكنّ حماماتٍ جميعاً بِعيطل ... فأصبحنَ شتى ما لهن قرينُ

فأصبحن قد قرقرن إلا حمامةً ... لها مثلُ نوْح النائحات رنينُ

تذكّرني ليلى على بعد دارها ... رواجفُ قلب مات وهو حزينُ

إذا ما خلا للنومِ أرّق عيف ... نوائح ورْق فَرْشُهنّ غصونُ

تداعين من بعد البكاء تألفاً ... فقلّبن أرياشاً وهنّ سكونُ

فيا ليت ليلى بعضَهنّ وليتني ... أطيرُ ودهرِي عندهن ركينُ

أَلاَ إنّما ليلى عصا خيزُرانةٍ ... إذا غمزوها بالأكفِّ تَلينُ

وقال أيضاً:

أجَدّك يا حماماتٍ بطَوقٍ ... فقد هيّجتِ مشغوفاً حزينا

أغرك يا حماماتٍ طريقٌ ... بأني لا أنام وتهجعينا

وأني قد براني الحبُّ حتى ... ضنيتُ وما أراك تَغَيّريْنا

أراد الله مَحلك في السِّلامى ... إلى مَن بالحنين تشوّقينا[200]

ولستِ وإن حننتِ أشدّ وجدا ولكني أسِرٌ وتُعلنينا

وبي مثل الذي بكِ غيرَ أني أحَلٌ عنِ العقال وتُعلقينا[201]

أما والله غيرَ قِلىً وبُغض أسدٌ ولم أزلْ جَزِعاً حزينا

لقد جُعلتْ دواوينُ الغواني سِوَى ديوان ليلى مُمحلينا[202]

فقِدْماً كنت أرجى الناس عندي وأقدرهم على ما تطلبينا

ألا لا تَنْسَيَنْ روعاتِ قلبي وعِصياني عليكِ العاذلينا

وقال أيضاً:

أإن سجعتْ في بطن وادٍ حمامة تجاوبُ أخرى دمعُ عينكَ دافقُ

كأنكَ لم تسمعْ بكاءَ حمامةٍ بليلٍ ولم يُحزنْكَ إلفٌ مفارقُ

ولم تر مفجوعاً بشيءٍ يحبه سواكَ ولم يعشق كعشقكَ عاشقُ

بلى وأفقْ عن ذكرِ ليلى فإنما أخو الحب مَن ذاق الهوى وهو تائقُ

ثم جلس متفكراً حزيناً ثم هام على وجهه، فبينما هو سائر إذ مر بسرب من قطا يتطاير، فقال:

شكوتُ إلى سرب القطا إذ مررن بي فقلت ومثلي بالبكاء جديرُ

أسربَ القطا هل مِن مُعيرٍ جناحه لعلّيَ إلى مَن قد هويتُ أطيرُ

وأيّ قطاةٍ لم تُعرْني جناحَها فعاشتْ بضرٍ والجناح كسيرُ

وإلا فمن هذا يؤدي رسالةً فأشكره إن المحبّ شكورُ

إلى الله أشكو صبوتي بعد كربتي ونيرانُ شوقي ما بهنّ فتورُ[203]

فإني لقاسي القلب إن كنتُ صابراً غداةَ غدٍ فيمت تَسيرُ نسيرُ

فإن لم أمُـت غـمـاً وهـمـاً وكـربـةً يـعـاودني بـعـد الـزفـيرِ زفـيرُ

إذا جلسوا في مجلـسٍ نـذروا دمـي فـكـيـف تـراهـا عـنـد ذاك تُـجـيرُ

ودون دمـي هـزٌ الـرمـاح كـأنـهـا تَـوَقّـدُ جـمـرٍ ثـاقـبٍ وسـعـيرُ

وزرقٌ مقيلُ الموتِ تحتُ ظـبـاتـهـا ونَـيْـلٌ وشـريـانٌ لـهـن مـجـيرُ[204]

إذا غمـزت أصـحـابِـهـنّ تـرنـمـت مـعـطّـفـةً ليستْ بـهـنّ كـسـورُ[205]

قطعن الحصى والرملَ حتى تفلّقت قـلائـدُ فـي أعـنـاقـهـا وظُـفـورُ

وقالت أخاف الموتَ إن يشحطِ النوَى فيا كـبـداً مـن خـوف ذاكَ تَـغـورُ

سلوا أمّ عمرو هـل يـنـوّل عـاشـقٌ أخـو سَـقـمٍ أم هَـلْ يُـفـكّ أسـيرُ

ألا قـل لـلـيـلـى هـل تـراها مجيرتي فـإنـي لـهـا فـيـمـا لـدَيّ مـجـيرُ

أظـلٌ بحـزنٍ إنْ تـغـنـتْ حمـامـةً من الوُرْقِ مطرابُ الـعـشـيّ بـكـورُ

بكت حين درّ الشوق لـي وتـرنّـمـت فلا صحـلُ تُـربِـي بـه وصَـفـيرُ[206]

لها رفقة يـسـعـدنـهـا فـكـأنـمـا تـعـاطـيـن كـأسـاً بينهـن تـدورُ[207]

بِجزعٍ من الوادي فضاءُ مَـسـيـلُـه وأعـلاه أثـلٌ نـاعـمٌ وسَـديرُ[208]

به بقر لا يـبـرح الـدهـرَ سـاكـنـا وآخـر وحـشـيٌ الـسـخـال يـثـورُ

وقال أيضاً:

أجَـدّ بأحـيـاءِ الـجـمـيـعِ بُـكـور وبـانَ الأخـلّاءُ الـذيـنَ تـزورُ

وشق عصا الجيرانِ يـومَ ترحّـلـوا نوًى بالكليبيات عـنـكَ تَـجـورُ[209]

براعة مكروهٍ مـن الـبـيـن لـم يـكـن لها دونَ تكديرِ الصـفـاء نـكـيـرُ

محــبّ أتــاهــا أن مـــا بـيـن بَـيـشـةٍ ونجرانَ مخضـرٌ الجـنـاب مَـطـيـرُ

أيذهب عقلي بعـد علـمـي وإن عـــلا عِذاريَ مِن بعدِ الـمـشـيـبِ قَـتـيـرُ

ومستجـهـلي بـعـدَ الـتـحـلّـمِ نِسـوةٌ أشار بليلـى نـحـوهـنّ مـشـيـرُ

تعـوّدن قتـلَ الـمـسـلـمـيـن كـأنمـا لهـنّ دمـاءُ المـسـلـمـيـنَ طَـهـورُ

وقلن تزوّجْ ثم دَعْ مـا كـان بـيـنـنـا أجارك من ريـبِ الزمـان مـجـيـرُ

أردنَ بـلائي مـا قضـيـن لبـانـةً فقـد غـارَ أو كـادَ النـجـومَ تغـورُ

وقال أيضاً:

شـغـف الـفـؤادُ بـجـارةِ الـجـنـب فـظـلـلـتُ ذا أسـفٍ وذا كـرْبِ

يـا جـارتـي أمـسـيـتِ مـالـكـةً روحـي وغـالـبـةً عـلـى لُـبّـي

أيها الراكب

وذكر أبو إسحاق بن الهيثم أن رجلًا مر بليلى وهي واقفة على باب خبائها فقالت أين تريد يا عبد الله؟ فقال أريد بني عامر، فزفرت زفرة وقالت:

يا أيها الراكب المزجي مطيّته ... عرّج لأنبئ عني بعض ما أجدُ

فما رأى الناس من وجدي تضمّنهم ... إلا ووجدٌ به فوق الذي أجدُ

أهوى رضاه وإني في مودته ... وحبه آخر الأيام أجتهدُ

فلما بلغ المجنون ذلك كتب إليها مع ذلك الرجل:

وأنت التي كلّفتني دلج السرى ... وجون القطا بالجلهتين جثومُ"[210]

وأنت التي قطّعت قلبي حرارة ... ورقرقت دمع العين فهو سجومُ

وأنت التي أغضبت قومي كلهم ... بعيد الرضى داني الصدود كظيمُ

وأنت التي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمتِّ بي من كان فيك يلومُ

وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضا أُرْمَى وأنتِ سليمُ

فلو أن قولًا يَكْلُم الجسم قَدْ بدا ... بجسمي من قول الوشاة كلُومُ

ثم قال: إن المجنون اعتل بعلة فبعثت إليه ليلى تعوده وتقول: إن تهيأتْ زيارتك غدا فعلت. فقال:

تعود مريضاً أسقمته بهجرها ... ولو عادته عاد لا يعرف السقما

لقد أضرمتْ في القلب ناراً من الجوى ... فما تركت عظما ولا تركت لحما

وإني على هجرانها وصدودها ... وما حلّ بي منها أرى حبها حَتما

خليليّ كفّا لا تلوما متيماً ... ولا تقتلا صَبّاً بلومِكُما ظلما

ما شجاني

وقال أيضاً:

وممّا شجاني أنها يوم ودّعت ... تقول لنا أستودعُ اللهَ من أدري

وكيف أعزّي النفس بعد فراقها ... وقد ضاق بالكتمان من حبها صدري

فوالله والله العزيز مكانه ... وقد كاد روحي أن يزول بلا أمري

خليليّ مُرّا بعد موتي بتربتي ... وقولا لليلى ذا قتيلٌ من الهجر

دموع العين

قال أبو بكر: مر رجل بالمجنون وهو يتردد في الرمل فقال: مالك يا أبا المهدي؟ فقال:

بي اليوم ما بي من هيام أصابني ... فإيّاك عني لا يكنْ بك ما بيا

كأن دموع العين تُسقَى جفونها ... غداة رأت أظعانَ ليلى غواديا

عروباً أثرّتها نواضح مُعرب ... معلقةً تروي نحيلًا صواديا

أمرّتْ فضاضت من فروعٍ حثيثة ... على جدولٍ يعلو فناً متعاديا

وقد بعدوا واستطردوا الآل دونهم ... بديمومة قفراً وأنزلتُ جاديا

قال: ثم تأوه واستعبر، فرأيت دموعه تتبادر على خده كاللؤلؤ المنثور وسمط الجمان المفصل بالشذور شفعاً ووتراً. وقال:

ذكرتُ عشية الصدفين ليلى ... وكل الدهر ذكراها جديدُ

إذا حال الغرابُ الجون دوني ... فمنقلبي إلى ليلى بعيدُ[211]

عليّ أليّةٌ إن كنت أدري ... أينقص حب ليلى أو يزيدُ

لها في طرفها لحظات حتف ... تميت بها وتحيي من تريدُ

وإن غضبتْ رأيتُ الناس هلكى وإن رضيتْ فأرواحٌ تعودُ

فقلنَ لقد بكيتَ فقلت وهل يبكي من الطرب الجليدُ
كلا

ولكن قد أصاب سواد عيني عويد ندىً له طرفٌ حديدُ

فقلن فما لدمعهما سواءٌ أكلِتْا مقلتيكَ أصابَ عودُ؟

قاتل الله الهوى

وقال أيضاً:

ألا قـــــاتـــل الله الـهـــوى مـــا وأســـــرعـــه للـمـــرء وهْـــو جـــلـــيـــدُ أشـــــدّه

دعـــاني الهوى مـــن نحوهـــا فـــأجبته فـــأصـــبح بـــي يـــســتن حيـــث يـريـد[212]

على ذمتي دار لليلى

حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق قال: خرجت يوماً أتضيف الأراوي[213] ومعي جماعة من أصحابي، فلما صمرت بناحية الحمى إذا أنا بأراكة[214] قد بدا منها قطيع من ظباء في شخص إنسان يُرى من ظل تلك الأراكة، فتعجب أصحابي منه، وعرفته ساعة رأيته، فتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويدا حتى أتيت الأراكة، فرقيت عليها وأشرفت عليه وعلى الظباء، وإذا أنا به قد تدلى الشعر على حاجبيه وعينيه فلم أكد أعرفه إلا بعد هوى من النهار وهو يرتعي[215] من ثمر الأراك لا يرفع رأسه، فتمثلت بشيء من شعره وهو:

على ذمتي دارٌ لليلى كأنما ... إزارانِ من بردٍ لها خَلِقانِ

وكيف إلى ليلى إذا رمّ أعظمي ... وصار وسادي منكبي وبناني

وحلّت بأعلى بيشتين فأصبحتْ ... يمانيةً والرمس غيرُ يمانِ

أيها الشيخ

وقيل إن المجنون لما شهر أمره بليلى خطبت له، فأبى أبوها أن يزوِّجها، وهكذا كانت العرب إذا شهر رجل بحب أمرأة لم يزوجوها منه، فاشتد وجده وتراقت سورة عشقه، وكان له عم يقال له يزيد وكان شجاعاً بطلاً آلى أن لا يتزوج المجنون بليلى ولا أحد من الناس إلا قتله، فأنشأ يقول:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى ... شقيتَ ولا أدركتَ من عيشك الخفضا

شقيتَ كما أشقيتني وتركتني ... أهيم مع الهلّاك لا أطعم الغمضا

أما والذي أبلى بليلى بليتي ... وأصفى لليلى من مودتيَ المحضا

لأعطيتُ في ليلى الرضا مَن يبيعها ... ولو أكثروا لوْمي ولو أكثُروا القرضا

فكم ذاكرٍ ليلى يعيش بكربة ... فينفض قلبي حين يذكرها نفضا

وحقِّ الهوى إني أحس من الهوى ... على كبدي ناراً وفي أعظمي مرضا

كأن فؤادي في مخاليب طائر ... إذا ذكرَتها النفس شدّت به قبضا

كأن فجاج الأرض حلقة خاتم ... عليّ فما تزداد طولًا ولا عرضا

وأغشى فيحمي لي من الأرض مضجعي وأصرع أحياناً فألتزم الأرضا

رضيتُ بقتلي في هواها لأنني أرى حبها حتماً وطاعتها فرضا

إذا ذكرتْ ليلي أهيم لذكرها وكانت مُنى نفسي وكنتُ لها أرضى

وإن رُمت صبراً أو سلواً بغيرها رأيت جميع الناس من دونها بعضا

قال: فلما سمع عمه هذه الأبيات رق قلبه له وقال: لا يزَوجها أحد سوى ابن أخي إلا قتلته، فمكث برهة من دهره، ثم إن يزيد هلك **فأنشأ يقول:**

خليليّ هل قيظٌ بنعمان راجع لياليه، أو أيامهنّ الصوالحُ

ألا لا ولا أيامنا بمتالع رواجع ما أورى بزندي قادح

إذا العيش لم يكدر عليّ ولم يمت يزيدُ وإذ لي ذو العقيدة ناصح

قال فخطبوها من كل جانب، فأخبرتُ أن أبا ليلى حج بها فرآها رجل من ثقيف، فخطبها، فزوّجه، فبلغ ذلك المجنون، **فأنشأ يقول:**

ألا إن ليلى العامرية أصبحت تَقطع إلا من ثقيفٍ حبالها

إذا التفتتْ والعيسُ صعرٌ من البرَى بِنحلة غشى عبرة العين حالها

فهمْ حبسوها محبس البُدن وابتغى بها المال أقوام فلا قلّ مالها

وقال أيضاً:

ألا يا بائعي ليلى بمكة ضلّةً تبايعتما هل يستوي الثمنانِ

فما غُبِن المبتاع ليلى بماله
بل البائعا ليلى هما غبنانِ

وقال أيضاً:

حبيبٌ نأى عني الزمان بقربه فضّيرَني فرداً بغير حبيب
فلي قلبُ محزونٍ وعقلُ مدّلهٍ ووحشةُ مهجورٍ وذلٌ غريبِ
فيا حُقبَ الأيام هل فيكِ مطمع
لِردّ حبيبٍ أو لدفع كُروبِ

مقام الشمس

(حكى الوالبي) قال: حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: خرج رجل منا إلى ناحية الشام وبلاد نجد في طلب بعير له، فأتى أحياء بني عامر فإذا خيمة رفعت له فقصدها وقد بل المطر ثيابه، فلما دنا إذ امرأة كلمته فقالت: انزل أيها الرجل، قال فنزلتُ وحططت رحلي وراحت إبلهم وغنمهم، فإذا نعم كثيرة ورحل خصيب، فقالت لبعض من كان مع الإبل، سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت من ناحية نجد وتهامة، فقالت يا عبد الله بمن نزلت هناك؟ قلت ببني عامر، فتنفست الصعداء، فقالت بأبي ونفسي بنو عامر، ثم قالت وهل سمعت بفتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون؟ فقلت نعم والله نزلت بأبيه ولقد أتيته حتى نظرت إليه يهيم في الصحراء مع الوحوش لا يعقل حتى تذكر له ليلى، فإذا ذكروها ثاب إليه عقله فيحدّث بحديثها وينشد شعره فيها، قال فرفعت الستر من بيني وبينها فإذا هي شقة قمر لم تر عيني قط أجمل منها، وقالت هل تروي شعره؟ قلت: بلى هو الذي يقول:

أنيـــري مكـــان الـبـدو إن أفـــل الـبـدرُ وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ

ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها ... وليس لها منك التبسم والثغرُ

بلى لك نورُ الشمس والبدر كله ... ولا حملت عينيك شمسٌ ولا بدرُ

لك الشرقة اللألاءُ والبدر طالع ... وليس لها منك الترائب والنحرُ

ومن أين للشمس المنيرة بالضحى ... بمكحولة العينين في طرفها فترُ

وأني لها مِنْ دَلِّ ليلى إذا انثنت ... بعيني مهاة الرمل قد مسها الذعرُ

تبسمُ ليلى عن ثنايا كأنها ... إقاح بجرعاء المراضين أو دُرٌ

منعّمة لو باشر الذرُّ جلدها ... لأثر منها في مدارجها الذرُ[216]

إذا أقبلت تمشي تقارب خطوها ... إلى الأقرب الأدنى تقسمها البهرُ[217]

مريضة أثناء التعطف إنها ... تخاف على الأرداف يثلمها الخصرُ[218]

فما أم خشف بالعقيقين ترعوي ... إلى رَشأ طفل مفاصلها خدرُ[219]

بمخضلّةٍ جاد الربيع زُهاءها ... رهائم وَسْميٍّ سحائبه غزرُ

وقفنا على أطلال ليلى عشية ... بأجرع حزوَى وهي طامسة دُثرُ

يجاد بها مزنان أسحمُ باكر ... وآخر مِعهاد الرواح لها زجرُ

وأوفى على روض الخزامى نسيمها ... وأنوارها واخضوضل الورق النضرِّ

رواحا وقد حنت أوائل ليلها ... روائح للإظلام ألوانها كدرُ

تقلب عيني خازل بين مُرعوٍ ... وآثار آيات وقد راحت العُفرُ[220]

بأحسنَ من ليلى معيدة نظرة ... إليّ التفاتاً حين ولت بها السفرُ

محاذية عيني بدمعٍ كأنما ... تحلّب من أشفارها دُرَرٌ غُزرُ

فلم أر إلا مقلةً لم أكد أشيم رسوم الدار ما فعل الذِّكرُ بها

رَفعنَ بها خُوصَ العيون وجوّها مُلفعةً تَرباً وأعينها غُزرُ[221]

وما زلت محمودَ التصبر في الذي ينوب ولكن في الهوى ليس لي صبرُ

فقالت: هل من مزيد؟ فأنشدتها:

أليس الليلُ يجمعني وليلى كفاك بذاك فيه لنا تدانِي

ترى وضح النهار كما أراه ويعلوها النهار كما علاني

قال: فوالله ما أتممت البيتين حتى شهقت شهقة وسقطت على وجهها تبكي حتى ظننت أن كبدها قد تصدعت، فقلت يا هذه أما تتقين الله الذي إليه معادك؟ فما عقلت ما قلت لها، ثم قامت بعد حين وأنشأت تقول:

ألا ليت شِعري والخطوب كثيرة متى رَحْلُ قيسٍ مستقلٌ فراجعُ

بنفسِي من لا يستقلٌ برحله وَمن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ثم أقمت عندها ثلاثاً تسألني عن خبره وتبكي بكاء يتوجع لها كبدي فوالله ما ظننتُ أحداً يجد كوجدها ولوعتها، فلما أردت الرحيل سألت عنها فإذا هي ليلى العامرية.

قوى النفس

وذكر قيس بن معمر قال: قلت لليلى: من أعز خلق الله عليك؟ قالت: من إذا عَثرتُ نهضت باسمه، وإذا رقدت حلمت بوجهه: قيس ابن الملوح، قلتُ: فهل قلتِ في ذلك شعراً؟ قالت: نعم. وأنشأت تقول:

إذا ذَهلتْ رِجلي بدأتُ بذكره ... وأحلمُ في يومي به وأعيشُ

إذا ذُكرَ المجنونُ زالت بذكره ... قوَى النفس أو كاد الفؤادُ يطيشُ

ووالله ما كادَ الفؤادُ يُجنُّهُ ... وإن كان صدري من هواهُ يجيشُ

توعدني قومي

قال أبو جائع لبيد بن عنبسة: حدثني بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية: والله لئن لم تنتهي عن ذكره لنقتلنكما معاً، فبعثت إلى القائل على يد مولاة لها رقة مكتوباً فيها:

توَعّدَني قومي بقتلي وقتله ... فقلتُ اقتلوني واتركوه من الذنبِ

ولا تُتبعوهُ بعد قتلي ذِلّةً ... كفى بالذي يلقاهُ من سَوْرةِ الحبِّ

وقال الحسن بن سهل: أنشدني احمد بن إسماعيل الكاتب لليلى العامرية:

قد كنتُ حاذِرة للدهرِ عارفةً ... أن سوفَ يطلبني بالرمي مفتقِدا

حتى رماني بمن قد جلّ عن صفتي ... فما أرى لي به ويْلي الغداةَ يدَا

لقْتُ الدواة بماءِ العينِ ثمّ بِه ... كتبتُ ما يكتبُ المجهودُ إذْ جهَدا

هذا الوداعُ لمن روحي الفِداءُ له ... قد خِفتُ أن لا أراه بعدَه أبدَا

ثلاثون يوماً

قال أبو بكر: ذكر أن المجنون لما تراقت علته إلى صعوبة وعسر علاجه، وأعيا الأطباءَ داؤه، ولم ينجع فيه الدواء، وصار إلى أسوا حالة من توحشه في الصحارى، شق ذلك على ليلى وأذهلها، فدعت بغلام وكتبت إليه: بسم الله الرحمن، واللهِ يا ابن عم إن الذي بي أضعافُ ما بقلبك ولكن وجدت السترة أبقى للمودة وأحمد في العاقبة. وكتبت آخره:

فلوْ أن ما أَلقى وما بي من الهوى ... بأرْعنَ رُكناهُ صَفاً وحديدُ

تقطّع من وَجد وذابَ حديدهُ ... وأمسي تراه العينُ وهو عميد

ثلاثون يوماً كُلّ يومٍ وليلةٍ ... أموتُ وأحيا إنّ ذا لشديدُ

أحن إلى ليلى

وأمرت الغلام بطلبه حيث كان من الأرض وردِّ الجواب عنه، فمضى الغلام ولم يزل يطلبه في الصحارى حتى أصابه في يوم صائف شديد القيظ والسموم، قد لجأ إلى كهف جبل عظيم وهو مطرق ينكت الأرض بإصبعه ويقول:

أحِنُّ إلى ليلى وإن شطّتِ النوَى ... بليلى كما حنّ اليراعُ المنشبُ

يقولون ليلى عذّبتك بحبها ... ألا حبذا ذاك الحبيب المعذِّب

فدنا منه وقال: يا قيس هذا كتاب ليلى وهي تقرأ عليك السلام، فلما ذكرها رجع إليه عقله واستوى قاعداً وتناول الكتاب وقرأه وجعل يبكي ويقول:

إذا جاءَني منها الكتابُ بعيْنِه ... خلوْتُ ببيتي حيثُ كنتُ من الأرضِ

فأبكي لنفسي رحمةً من جفائِها ... ويبكي من الهُجرانِ بعضي على بعضي

وإني لأهواها مُسيئاً ومحسناً ... وأقضِي على نفسي لها بالذي تقضي

فحتى متى روحُ الرِّضا لا ينالُني ... وحتى متى أيامُ سخطك لا تمضي

ثم أجابها عن كتابها بهذه الأبيات:

أيا مُهدِ لي نعْيَ الحبيبِ صبيحةً بمن وإلى مَن جئتما تشيانِ

بمنْ لو رآه عانياً ومن لو رآني عانياً لفداني لفديتُه

فمنْ مُبلِغٌ عني الحبيبَ رسالةً بأنّ فؤادي دائمُ الخفقانِ

وأني ممنوعٌ من النومِ مُدْنفٌ وعيناي من وَجد الأسى يكِفان

وضمنه:

وجَدتُ الحبّ نيراناً قلوبُ العاشقين لها وَقودُ تلظّى

فلو كانتْ إذا احترقتْ تفانتْ ولكنْ كلما احترقتْ تعودُ

كأهلِ النارِ إذْ نضجتْ جلودٌ أُعيدتْ للشقاءِ لهمْ جلودُ

أمَا والذي أعطاكِ بطشاً وقوةً وصبراً وأزرى بي ونَقّص مِن بطشي

لقد محّض الله الهوَى لكِ خالصاً وركبّهُ في القلبِ مِنّي بلا غشٍّ

تَبرّأ مِن كلِّ الجسومِ وَحلّ بي فإن متٌ يوماً فاطلبوهُ على نعشي

سلِي الليلَ عني هل أذوقُ رقادَه وهل لِضلوعي مستقرٌ على فرشي

يا طبيب الجن

وذكر أبو بكر قال: مرّ بعض الأطباء بحيهم، فسأله أبو المجنون ما تعالج؟ قال: أعالج كل مسحور مجنون، قال: مكانك لآتيك بابن لي يهيم في الصحراء. فخرجوا في طلبه فما زالوا يطلبونه حتى قدروا عليه وأدخلوه إلى الطبيب، وأقبل يسقيه، فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول:

ألا يا طبيبَ الجنّ ويْحكَ داوني ... فإنّ طبيبَ الإنسِ أعياهُ دائيا

أتيتُ طبيبَ الإنسِ شيخاً مُداوياً ... بمكةَ يُعطي في الدّواءِ الأمانيا

فقلتُ لهُ يا عمّ حُكمكَ فاحتكمْ ... إذا ما كشفْتَ اليومَ يا عمِّ مابيا

فخاضَ شراباً بارداً في زُجاجةٍ ... وطرّحَ فيه سَلوةً وسَقانيا

فقلتُ ومرْضَى الناسِ يسعوْنَ حولهُ ... أعوذُ بربّ الناسِ منكَ مُداويا

فقال: شفاء الحبِّ أنْ تُلصقَ الحشا ... بأحشاءِ من تهْوَى إذا كنتَ خاليا

فقال: وايم الله[222] عاشق، ودواؤها أن يلصق الحشا بأحشاء من يهوى، والمجنون يعض شفتيه ولسانه حتى خلّوه، ثم نهض فمضى على وجهه، فبينما هو يدور إذ رأى ناراً في سفح أكمة[223] فدنا منه فإذا هم قوم رعاة فقال:

رعـــاةَ اللـــيـل مـا فـعـلَ الـصّـبـاحُ ... ومـــا فـعـــلـــتْ أوائـلـــهُ الـــمـــلاحُ

ومـــا بـــالُ الـــذيـن سَـبـــوْا فـــؤادي ... أقـــامـــــوا أم أجَـــــدّ بـهـــــم رواحُ

ومـــا بـــالُ الـــنـجـــومِ مُـعـلّـقـاتٍ ... بـقلبِ الصبِّ لـــيـس لـهـا بـــــراح

كـأنّ القـلـــبَ لـيـلـةَ قـــيـلَ يُـغـــدَى ... بـلـيـلـى الـعـــامـــرّيـــةِ أو بُـــــراحُ

قـــطـــاةٌ غـــرّهـــا شـــــرَكٌ فبـــاتـــتْ ... تـــجـــاذبـــهُ وقـــد عـلـــقَ الجـــنـاحُ

لـــهـــا فـــرخـانِ قـــد تُـركـا بـقـفـــرٍ ... وعـشّتهـمـا تـصـفّـقُـهُ الـرّيـاحُ

إذا سمـعـــا هُـبـوبَ الـريـح هَـبّـا ... وقـــالا أمّـــــنـًا تـأتـــي الـــرواحُ

فـــلا بـالـلـيـلْ نـالـتْ ما تـــرَجّـى ... ولا فـي الصـــبـحِ كـانَ لها بـراحُ

رُعـاةَ الليـلِ كـونـــوا كيـف شـئـتـمْ ... فقـــد أوْدَى بـــيَ الـحـبُّ الـمـنـاحُ

يا ناعيي ليلى

وقال أبو بكر: إن المجنون بينما هو ذات يوم في أودية مصلة، قد أسند ظهره إلى بعض الصُّوى[224] حزيناً كئيباً، إذ مر به فارسان فنعيا إليه ليلى وقالا: مضت لسبيلها، فخر المجنون مغشيًا عليه، فلما أفاق أنشأ يقول:

أيا ناعيي ليلى بجانبِ هضبةٍ ... أمَا كان ينْعاها إليّ سِواكما

ويا ناعيي ليلى بجانبِ هضبة ... فمن بعد ليلى لا أمرّت قواكُما

ويا ناعيي ليلى لقد هجتُما ... تباريحَ نوْحٍ في الدِّيار كلاكُما لنا

فلا عِشتما إلا حليفيْ مصيبةٍ ... ولا مُتّما حتى يطول بَلاكُما

وأسلمت الأيامُ فيها ... نبِوْتُكما إني أحبّ

عجائبا ... رِداكما

أظنّكما لا تعلمانِ ... لقد حَلّ بينُ الوصلِ فيما أراكُما

مُصيبتي

قال: ثم مضى حتى دخل الحي بعدما لم يكن يمر به إلا من بعيد، فأتى أهل بيتها فعزّاهم فعزوه، فقال دلوني على قبرها، فلما عرفه رمى بنفسه على القبر والتزمه، وأنشأ يقول:

أيا قبر ليلَى لو شهدناكَ أعولتْ ... عليك نساءٌ من فصيحٍ ومن عجَمْ

ويا قبرَ ليلى أكرمنّ محلّها ... يكنْ لك ما عشنا علينا بها نُعمْ

ويا قبرَ ليلى إنّ ليلى غريبةٌ ... بأرضكَ لا خلٌّ لديها ولا ابنُ عمْ

ويا قبرَ ليلى ما تضمنْتَ قبلها ... شبيهاً لليلى ذا عفافٍ وذا كرمْ

ويا قبرَ ليلى غابتِ اليوم أمّها ... وخالتُها والحافظونَ لها الذِّممْ

إلى قبر ليلى

قال أبو بكر: ثم إنه كان يأوي إلى قبر ليلى ويدور نهاره حتى جف جلده على عظمه، واشتدت بليته، فمكث على ذلك دهراً، ثم إن رجلًا أحب لقاءه والنظر إليه وإلى ناحية نجد، قال الرجل فلما صرت إلى بلدهم سرت إلى محلتهم، فإذا أبوه شيخ كبير وحوله أبناءٌ ذوو أموال وهيئات ونعم ظاهرة، فسألتهم عن المجنون فبكوا بكاء شديداً ثم قال الشيخ: كان والله أحسن هؤلاء، وإنه عشق امرأة من قومه لم تكن في المال مثله، فلم أر تزويجها إياه، وما أظن أنه يبلغ من حبها ما بلغ، فلما تمادى به الحب طلبناها فمنعها أبوها ثم زوّجها غيره، فجن ابني بها وجداً فحبسناه وقيدناه، فكان يَعَض لسانه وشفتيه حتى كاد يقطعهما، فلما رأينا منه ذلك خلينا سبيله فذهب في هذه الفيافي يرعَى مع الوحوش ويرِدُ المياه ونحن نبعث إليه كل يوم بطعام وشراب فيوضع له حيث يرى، فإذا انتحى عنه الواضع جاء وأكل. قلت: فإني أحب لقاءه فدلوني عليه، قالوا اخرج إلى هذه الصحراء فإنك تصيبه هناك. قلت: إذا رأيته كيف أحتال للدنوّ منه؟ قالوا: فإذا رأيته فأنشده بعض شعر قيس بن ذريح، فإنه معجب بشعره. قال

الأعرابي: فذهبت فأصبته قاعداً يلعب بالتراب، فجلست قريباً منه، فأقبل يلاحظني ساعة بعد ساعة، فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفنٍ دمعَ عينيّ بالبكا ... حذاراً لما قد كان أو هو كائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتي ... بكفّي إلا أن ما حان حائنُ

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليّةٌ ... فراقُ حبيبٍ بانَ أو هو بائنُ

قال: فبكى بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول:

لِصفراءَ في قلبي من الحُبِّ شعبةٌ ... هَوًى لم ترُمهُ الغانيات صَميمُ

به حلّ بيتَ الحبِّ ثم انثنى به ... فزالتْ بيوتُ الحيِّ وهْوَ مقيمُ

ومَن يتهيّض[225] حبُّهنّ فؤادَه ... يمُتْ ويعشْ ما عاش وهْو سقيمُ

فَحَر إن صاد أن يُذَد عن بردِ مشرب ... وعن بللاتِ الماءِ وهْو يحوم

بكتْ دارُهمْ من فقدِهم وتهللتْ ... دموعي فأيُّ الجازعيْن ألومُ

أهذا الذي يبكي من الهُون والبَلا ... أم اخرُ يبكي شجوَه ويهيم

إلى الله أشكو حبّ ليلى كما شكا ... إلى الله فَقْدَ الوالديْن يتيمُ

يتيمٌ جفاهُ الأقربون فعظمُه ... كسيرٌ وفقدُ الوالدينِ عظيمُ

أفي الحقِّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ ... وقلبيَ مما قد أجَنّ يهيم

إذا ذُكـــرتْ لـــيـــلـى أئِـــنٌ لـــذكـرِهـــا كمـــا أنّ بَـيـــن العـائـــــداتِ سـقـــيـــم

عليّ دمـاءُ الـبُـــدن إن كـــان حـــبُّـهـــا على النأي فـي طـــول الزمـان يَريـــم[226]

دَعُوني فما عـنْ رأيـكـــمْ كـان حبُّهـا ولـــكـــنـه حـــظٌ لـهـا وقـــســـيـــمُ

وقال أيضاً:

لـــم تـــزل مُـقـلـــتـي تـــفـيـضُ مِثـل فـيْـض الغـيـوث مـذ فـــقـدَتْـها بـــدمـــعِ

مُقـلـــةٌ دمُـعـهـا حـــثـيـــثٌ وأخـــرى كلـمـا جـــفّ دمـعُـهـا أسـعـدتْـهـا

مـــا جـــرتَ هـــذه عـلـى الخـــدِّ حتى لحِـقـتْ تـــلـك بـالـتـي سَـبـقـتـــهـــا

دمـعـــــةٌ بـعـد دمـــعـــــةٍ فـــإذا مـــا لـحِـقـتْ تـــلـك هـــذه أحـــدرَتـهـــا

قال الأعرابي: فأقسمت عليه أن ينشدني بعض أشعاره، فأنشد يقول:

لئـن كـــثُـــرتْ رُقّـابُ لـيـلـى لـطالما لـهـــوْتُ بليـلـى مـا لـهـــنّ رقـيـبُ

وإنْ حـــالَ يـأس دون لـيـلـى فـربـمـا أتى اليأسُ دون الشيءِ وهـــو حـبـيبُ

ومـــنيّـتـنـي حـتـى إذا مـــا رأيْـتـنـي عـلـى شـــرَفٍ لـلـنـاظـرين قـــريب[227]

صددتِ وأشـمـــتِّ العِـــدَاةَ بـهـجـرنـا أثـابـــكِ فـيـمـا تـــصـنـعـين مُـــثـيـبُ

أَأُبعِدُ عنكِ النفسَ والـنـفـــسُ صَـبّـــةٌ بـذكـــركِ والمـمـشـــى إلـيـــكِ قـريبُ

مخافةَ أن تسعى الوشاةُ مَظنةً وإكرامُكم أن يستريبَ مريبُ

أمَا والذي يبلو السرائرَ كلّها ويعلمُ ما تُبدي به وتغيبُ

لقد كنتِ ممنْ تصطفي النفسُ خِلةً لها دونَ خلّانِ الصفاءِ حُجُوبُ

وإني لأستحييكِ حتى عليّ بظهرِ الغيبِ منكِ رقيبُ كأنما

تلجّين حتى يذهبَ اليأسُ بالهوى وحتى تكادَ النفسُ عنكِ تطيب[228]

سأستعطفُ الأيامَ فيكِ لعلها بيومِ سروري في هواك تؤوبُ

وقال أيضاً:

ألا هلْ طلوع الشمس يُهدي تحيةً إلى آل ليلى أو دنوٌ غروبها

أتُضرَبُ ليلى إن مررتُ بذي الغَضى وما ذنبُ ليلى إن طوى الأرض ذيبُها[229]

أَجَلّ عليّ الرجمُ إن قلتُ حبّذا غروبُ ثنايا أمّ عمرو وطيبُها[230]

وقال أيضاً:

فيا ليت ليلى وافقتْ كل حجّةٍ قضاءً على ليلى وإني رفيقُها

فتجْمعُنا مِنْ نخلتين ثنيةٌ يغصٌ بأعضادِ المطيِّ طريقها[231]

فالقاكِ عند الركنِ أو جانب الصفا ويَشغلُ عنا أهل مكةَ سُوقُها

فأنشدُها أنّ نحوِي الهونُ والهوَى وتمنحُ نفساً طالَ مطلًا حقوقُها[232]

قال: فلما فرغ انصرفت إلى الحي وحدثتهم بحديثه وما أنشدني من شعره، فقالوا لي: ويحك إن رجعت إليه فانظر عسى أن تأخذ قصيدته التي قالها في الثمدين فقد جهدنا على نسخها فلم نقدر

عليها، قال الأعرابي: فمررت إليه ثانياً فلم أزل أطلبه حتى وجدته على قوز[233] من الأرض قد كوّمته الريح كوما يخط بأصبعه فيه، فدنوت وجلست إليه وهو يلاحظني فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

فواكبدي وعاوَدني رواعي ... وكان فراق لبنى كالخداعِ

تكنّفني الوُشاةُ فأزعجوني ... فيَا لله للواشي المطاعِ

فأصبحتُ الغداةَ ألومُ نفسي ... على شيءٍ وليسَ بمستطاعِ

كمغبونٍ يعضُّ على يديه ... تَبينَ غَبسُهُ بعدَ البياعِ

إذا مما تُذكرينَ تحنُّ نفسي ... حنينَ الإلفِ يطرَبُ للسماعِ

قال المجنون: بلى والله، واستعبرَ حيناً، ثم قال: أنا أشعر منه حيث أقول:

فوالله ثم الله إني ... لدائبا

أُفكّرُ ما ذنبي إليكِ ... فأعجبُ

ووالله ما أدري علامَ هجرتِني ... وأيّ أمورٍ فيكِ يا ليلَ اركبُ

أأقطعُ حبلَ الوصل فالموتُ دونهُ ... وأشربُ كأساً منكُم ليس يُشربُ

أم اهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً ... أم افعلُ ماذا أم أبوحُ فأغلبُ

فأيهما يا ليلُ ما تفعليهُ ... فأوّلُ مهجورٌ وآخرُ متعبُ

فلو تلتقي أرواحُنا بعدَ موتنا ... ومِنْ دونِ رمسيْنا من الأرضِ مَنكبُ[234]

لظلّ صدى رَمسي وإنْ كنتُ رِمّةً ... لدى صوتِ ليلى يَهَشُّ ويطربُ

فإن لم أكن أشعر منه في هذا، فأنا أشعر منه حيث أقول:

ألا يا نسيمَ الريح حكمكَ عليّ إذا أرْضيتني ورضيتُ جائرٌ

ألا يا نسيم الريحِ لو أن واحداً من الناسِ يَبليه الهوى لبليتُ

فلو خُلط السمٌ الزّعافُ بريقها تمصّصتُ منه نهلةً ورويتُ

ثم قال: فإن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول:

وعارضنَ بالعقيان كلّ مُفلّجٍ به الظّلمُ لم تقْللْ لهُنّ غروب[235]

رُضابٌ كريح المسكِ يجلو مُتونه من الضّرو أو فرخِ البشامِ قضيبُ[236]

ثم غشي عليه، فلما أفاق قلت: أحسن والله قيس بن ذريح.

هبوني امرأ

حيث يقول:

هَبوني امرأً إن تُحسنوا فهو شاكرٌ لذاكَ وإنْ لمْ تحسنوا فهوَ صافحُ

فإنْ يكَ أقوامٌ أشاروا بقتلها فإنّ الذي بيني وبينكِ صالحُ

فما وَجِدَتْ وجدي بِها أمٌ واحدٍ بواحِدها ضُمّتْ عليهِ صفائحُ

وَجدتُ بها وَجْدَ المُظلِّ رِكابهُ بمكةَ والرُكبانُ غادٍ ورائِحُ

فقال: أنا أشعر منه حيث أقول:

وأدنيتِني حتى إذا ما فتنتني بقولٍ يُحلُّ العصمَ سهلِ الأباطح

تجافيتِ عني حتى لا ليَ حيلة وغادرتِ ما غادرتِ بينَ الجوانحِ

فقلت: سألتك بحق قبر ليلى أن تنشدني قصيدتك التي قلتها في الثمدين، وقد كنت أخذت معي دواة وقرطاساً، فأنشد:

تذكرتُ ليلى والسنينَ الخواليا وأيامَ لا نخشى على اللهوِ ناهيا

ويومٌ كظلِّ الرمحِ قصّرتُ ظلّه بليلى فلهّاني وما كنت لاهيا

لاحت نار ليلى

بثمدَينَ لاحتْ نارُ ليلى وصُحبتي بذاتِ الغَضَى تُزجى المطِيّ النّواجيا

فقال بصيرُ القومِ لمّحتُ بدا في سوادِ الليلِ فرداً يمانيا كوكباً

فقلتُ لهُ بل نارُ ليلى توقّدتْ بعليَا تسامَى ضوْؤها فبدا ليا[237]

فليتَ ركابَ القومِ لمْ تقطع الغَضَى وليتَ الغضَى ماشَى الرِّكابَ لياليا[238]

فيا ليلُ كم من حاجةٍ لي إذا جئتكم بالليل لمْ أدر ماهيا مُهمةٍ

خليليّ إنْ لا تبكياني خليلًا إذا أنزفتُ دَمعي بكى ليا ألتمسْ

فما أشرفُ الأبقاعَ إلا صبابةً ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا

وقد يجمعُ اللهُ الشيتينِ يظنانِ كلّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا بعدما

لحى الله أقواماً

لحى الله أقواماً يقولون إننا ... وجدنا طوالَ الدهر للحبِّ شافيا

وعهدي بليلى وهْيَ ذاتُ مؤصّدٍ ... تَردٌ علينا بالعشيِّ المواشيا[239]

فشبّ بنوُ ليلى وشبّ بنو ابنها ... وأعلاقُ ليلى في فؤادي كما هيا

إذا ما جلسنا مجلساً نستلذهُ ... تواشوْا بنا حتى أملّ مكانيا

سقَى الله جاراتٍ لليلى تباعدتْ ... بهنّ النّوى حيثُ احتللن المطاليا

ولم يُنسني ليلى افتقارٌ ولا غنىً ... ولا توبةٌ حتى احتضنتُ السواريا

ولا نسوةٌ صبغنَ كيداءَ جلعداً ... لتشبهَ ليلى ثم عرّضْنها لِيا[240]

خليليّ لا والله لا أملكُ الذي ... قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

ابتلاني بحبها

قضاهـــا لغيـري وابتـلانـي بـحـبـهـــا فهـلّا بشـــيءٍ غـيـرِ ليلى ابـــتـــلانيـــا

وخبّـرتمـانـــي أنّ تـــيـمـــاءَ مـــنـــزلٌ لليلىَ إذا مـا الصّيْـفُ ألقى المـراسيـا

فهذي شهور الصيفِ عنّا قد انقضتْ فما للنوى ترمي بليْـلى الـمـــرامـــيـا

فـــلـــو أنّ واشٍ بـــالـيـمـــامـــة ودارِي بأعلى حضر موْت اهتدى ليا
دارهُ

ومـاذا لـهـــم لا أحـســـنَ الله حـالـهـــم من الحظِّ في تصريـم لـيـلى حـبـالـيا

وقد كنتُ أعلو حُـبّ لـيـلى فـلـم يـــزلْ بِيَ النقضُ والابرَامُ حـتـى عـــلانـــيَـا

فـيـا ربِّ سَـــوِّ الـحُـبّ بـيـنـي وبـيـنـهـا لـــيـــا يـكـــونُ كـــفـافـــاً لا عـلـيّ ولا

فمـــا طـلـع النـجـــمُ الـذي يُـهـتـدى بـه ولا الصبـــحُ إلا هيّـــجـــا ذكـرَها لـيـــا

ولا سرتُ مِيـلًا مـن دمـشـقَ ولا بـــدا سُـهـيـلٌ لأهـــل الشـــام الا بـــدا لـــيـــا

أحبها

ولا سمّيتْ عندي لها من سميّةٍ ... من الناسِ إلا بلّ دمعي ردائيا

ولا هبّتِ الريح الجنوب لأرضها ... من الليل إلا بتّ للريح جانيا

فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادَها ... عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا

فأشهدُ عند الله أني أحبّها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا

قضى الله بالمعروف منها لغيرِنا ... وبالشوق مني والغرامِ قضى ليا

وإن الذي أمّلتُ يا أمّ مالكٍ ... أشابَ فويدي[241] واستهان فؤاديا

أعُدّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... وقد عشتُ دهراً لا أعدّ اللياليا

وأخرُجُ من بين البيوت لعلني ... أحدّثُ عنكِ النفسَ بالليل خاليا

أراني إذا صلّيتُ يممْتُ نحوَها ... بوجهي وإن كان المصلّى ورائيا

وما بِيَ إشراكٌ ولكنّ حبّها ... وعُظمَ الجوَى أعيا الطبيبَ المداويا

أحبُّ من الأسماءِ ما وافق اسمها ... أو اشبههُ أو كان منه مدانيا

خليليّ ليلى أكبرُ الحاجِ والمنى ... فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا

ياحمامة

لعَمري لقد أبكيتني يا حمامةَ الـ ... عقيق وأبكيْتِ العيونَ البواكيا

خليليّ ما أرجو من العيْش بعدَما ... أرى حاجتي تُشرى ولا تشترَى ليا

وتجرِمُ ليلى ثم تزعُم أنني ... سلوتُ ولا يخفى على الناس ما بيا

فلمْ أرَ مثلينا خليليْ صبابةٍ ... أشدّ على رغم الأعادي تصافيا

خليلانِ لا نرجو اللقاءَ ولا نرى ... خليلين لا يرجون أن لا تلاقيا

وإني لأستحيِيكِ أن تعرضَ المنى ... بوصلكِ أو أن تعرضي في المنى ليا

يقولُ أناسٌ علّ مجنونَ عامرٍ ... يروم سُلواً قلتُ أنّى لما بيا

بيَ اليأسُ أو داءُ الهيام أصابني ... فإياكَ عني لا يكنْ بك ما بيا

إذا ما اسْتطال الدهرُ يا أمّ مالكٍ ... فشأنُ المنايا القاضياتِ وشانيا

إذا اكتحلتْ عيني بعينك لم تزلْ ... بخيرٍ وحلّتْ غمرةٌ عن فواديا

أيها الركب اليمانون

فأنتِ التي إن شئتِ أشقيت عيشتي ... وأنت التي إن شئت أنعمت باليا

وأنت التي ما من صديقٍ ولا عِدا ... يرى نضوَ ما أبقيتِ إلا رثى ليا

أمضروبةٌ ليلى على أن أزورَها ... ومُتخذٌ ذنباً لها أن تَرانيا

إذا سرتُ في الأرض الفضاءِ رأيتُني ... أصانعُ رحلْي أن يميلَ حِياليا

يميناً إذا كانت يمينا وإن تكن ... شمالاً ينازعْني الهوى عن شماليا

وإني لأستغشي وما بي نعسةٌ ... لعل خيالًا منك يلقى خياليا

هي السحرُ إلا أن للسحر رُقية ... وإني لا ألْقى لها الدهرَ راقيا

إذا نحنُ أدلحنا وأنتِ أمامنا ... كفى لمطايانا بذكراكِ هاديا

ذكتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصبحت ... لها وهجٌ مستضرَم في فؤاديا

ألا أيها الركبُ اليمانيّون عرّجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

أسائلكم هل سالَ نعمانُ بعدنا ... وحُبّ إلينا بطنُ نعمانَ واديا

ألا يا حماميْ بطنِ نعمان هجتما ... عليّ الهوى لمّا تغنيتما ليا

يقتل المرء نفسه

وأبكيْتماني وَسط صحبي ولم أكن ... أبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

ويا أيها القُمريّتان تجاوَبا ... بلحْنيكما ثم اسْجعا علَلانيا

فإن أنتما استطربتما أوْ أردتما ... لحَاقاً بأطلالِ الغضى فاتبعانيا

ألا ليتَ شعري ما لليْلى وما ليا ... وما للصبا من بعد شيب علانيا

ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى ... إلى من تشيها أو لمن أنت واشيا

لئن ظعن الأحبابُ يا أمّ مالكٍ ... فما ظعن الحبُّ الذي في فواديا

فيا ربِّ إذْ صيرتَ ليلى هيَ المنى ... فزِنّي بعينيها كما زنتها ليا

وإلا فبَغِّضْها إليّ وأهلها ... فإني بليلى قد لقيتُ الدواهيا

على مِثل ليلى يقتلُ المرءُ نفسه ... وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا

خليليّ إن ضنّوا بليلى فقرِّبا ... ليَ النعشَ والأكفانَ واستغفِرا ليا

- قال الأعرابي: فلما أتم هذه القصيدة ظهرت له ظبية فوثب في طلبها والتفت إليّ وقال: السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا أبدا.

- قال الأعرابي: ثم مضيت إلى الحي فأخبرتهم خبره وأنشدتهم قصيدته فكتبوها، فلما كان من الغد بكرت إليه وطلبته فلم أقدر

عليه فانصرفت إلى الحي وأعلمتهم، فقام إخوته وبنو عمه وأهل بيته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل إذا نحن به ميتاً، وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين:

توسّدَ أحجارَ المهامه والقفر ... وماتَ جريحَ القلب مندملَ الصدر

فيا ليت هذا الحِبّ يعشق مرةً ... فيعلمَ ما يلقَى المحبٌ من الهجر

فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء وحملناه إلى الحي، فبكى عليه الغريب والقريب وكل من سمع باسمه يوماً، ثم غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى، رحمهما الله تعالى.

كل امرئَ للموت شارب

قال أبوبكر: لما مات الملوّح أبو المجنون، بلغه ذلك، فأتى قبره وكانت له ناقة فنحرها على قبره، وكانت العرب هذا شأنها تفعل ذلك إذا مات منهم أحد، وأنشأ يقول:

عقـرْتُ على قبـرِ الملوّح نـاقتي ... بذي الرمثِ لما أن جفـاه أقـاربُه

فقلتُ لهـا كـوني عَقيـراً فـإننـي ... غـداةَ غَدٍ ماشٍ وبالأمس راكُـبهْ

فلا يُبعدَنْـك الله يا ابن مُزاحـمٍ ... فكل امرئٍ للمَوتِ لا بدّ شـاربُه

خاتمة

قال أبو بكر الوالبي، رحمه الله تعالى: هذا جملة ما تناهى إلينا من أخبار المجنون وأشعاره، وما كان منحولًا من قصيدة أو خبر أعرضنا عن كتبه. والله سبحانه وتعالى أعلم[242].

1 يحلو لمؤرخي الأدب أن يقسموا الشعر في العصر الإعلامي إلى فترتين:

الأولى: صدر الإسلام: وتبدأ عن ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين.

الثانية: العصر الأموي: وتبدأ من قيام الدولة الأمومة سنة 41 هـ. إلى نهـاية هذه الدولة سنة 132 هـ.

والفترة الثانية هي التي ظهر فيها الغزل العذري وفي مقابله الغزل الحضري (وهو الغزل الصريح) وكان من أهم عوامل ازدهاره:

أ - حياة الترف والرخاء التي عاش فيها الشعراء.

ب - شيوع الغناء في عواصم البلاد العربية.

ج - انصراف كثير من شعراء الحجاز عن المشاركة في السياسة منذ أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام مما حملهم على التفرغ لشعر الغزل والاهتمام به. ويمثل هذا النوع عمر بن أبي ربيعة.

أما الغزل العذري أو العفيف أو الغير مادي، فهو الذي يقوم على العاطفة الصادقة والبعد عن ذكر محاسن المرأة ومفاتنها وساعد على ازدهاره من وجهة نظرنا:

أ - الفراغ الذي كان يعيشه الشعراء في البادية.

ب - الغيرة على المرأة والمحافظة على التقاليد البدوية.

ويمثل هذا اللون (جميل بن معمر) و (عروة بن حزام) و(مجنون ليلى) وغيرهم من الذين ذكرناهم.

2 عمر بن أبي ربيعة شاعر إسلامي اشتهر بالغزل الصريح، وهو من قبيلة مخزوم القرشية. ولد سنة 23 هـ في العام الذي توفى فيه الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقال الناس: (أي حق رفع، وأي باطل وضع) ونشأ في الحجاز مترفاً ميالًا إلى اللهو والغزل طيلة شبابه فلما تقدمت به السن انصرف عن ذلك وتوفي صنة 93 هـ.

3 الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. وعاصم بن ثابت من الأنصار. ويقال ان عمر بن عبد العزيز نفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الأحمر لسلوكه الشائن.

راجع ت: الأغاني (14/ 470) و(4/ 228) و(6/ 51) والمؤتلف والمختلف (48)، والخزانة (1/ 231)، والسمط (73)، وطبقات ابن سلام (534)، والموشح (187)، وبروكلمان (1/ 196).

4 جميل بن معمر من قبيلة "عذرة" التي اشتهرت بالحب العفيف، وجميل شاعر إسلامي من شعراء الغزل أحب (بثينة) ابنة عمه وقد أقام على حبها حتى مات وجعل شعره كله وقفاً عليها، وكان يريد الزواج بها ولكن تقاليد القبيلة كانت تمنع زواج الشاعر من الفتاة التي يتغزل بها، فزوجها أهلها غيره ولكنه ظل متعلقاً بها يذكرها في شعره فشكوه

إلى الوالي فهدده بإهدار دمه حتى ضاقت به الحياة فرحل إلى الشام ثم إلى مصر حيث توفي بها سنة 82 هـ.

5 يجدر بالذكر أن الأستاذ/ عبد اللطيف علي أبو حليمة كتب مقدمة طيبة لديوان مجنون ليلى استفدنا منها استفادة كبيرة فجزاه الله خيراً على جهده.

ويجدر بالذكر أيضاً أن ديوان مجنون ليلى له طبعة أخرجتها مطبعة البابي حلبي (1358هـ/1939 م)، وطبعة أخرى أخرجتها المطبعة الشرقية بدون تاريخ وقد استفدت منهما في إخراج هذا الديوان، وقارنتهما بما ورد من اشعار مجنون ليلى في الأغاني والخزانة والمؤتلف ومعجم الشعراء والسمط وفوات الوفيات والشعر والشعراء.

6 راجع التعريف بالوالبي الذي كتبه الأخ الصديق الدكتور/ عبد الرحيم يوسف الجمل بطبعة الآداب المصرية لديوان مجنون ليلى للوالبي (الصفحات من ج إلى و).

7 في نسخة (اختلف في اسم المجنون).

8 في نسخة (هل هو قيس) بدلًا من (هل هو عامر).

9 والصحيح في رأينا أنه قيس بن معاذ، أو قيس بن الملوح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، ويقال بل هومن بني عقيل بن كعب بن ربيعة. وفي رأينا أيضاً أن المجنون شخصية واحدة.

10 ليلى العامرية اسمها ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الجريسن بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكنيتها أم مالك كما جاء في شعر المجنون نفسه (راجع الأغاني 5/2).

11 الصحيح أن البهم جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز.

12 يقال إن ليلى وقيس تعارفا وهما صبيان حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة البريئة وترعرعت. وهناك راي آخر يقول: إن قيساً مرّ يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلنه السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيتة وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فاغضبه ذلك وقال شعراً.

فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكن وجد ليلى فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحباتها بالأمس، فأظهرت ليلى إعراضها عنه فأصابه لذلك همٍ شديد، فما كان من ليلى إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكد يسمعه حتى خر مغشياً عليه.

واعتقد إن هذه الرواية متأثرة إلى حد كبير وبالذات في موضوع عقر الناقتين بما روي عن امرئ القيس الشاعر الجاهلي وقصته مع ابنة عمه (عنيزة) في يوم دارة جلجل وعقره للعذارى مطيته وإذا ذبح امرؤ القيس مطية أو أكثر فالأمر بالنسبة له سهل ميسور لأنه

ابن ملك وعلى قدر كبير من الغنى ولكن شاعرنا المجنون رجل فقير محدود الإمكانات فمن أين له بالناقتين كي يذبحهما؟!

وليس من المعقول أن يحب ليلى من أول نظرة، فتظهر له إعراضها فيصاب بهم شديد، فتقول له شعراً فيخر مغشياً عليه!!!

الرواية الثالثة أو الرأي الثالث يحاول أن يصور قيس بن الملوح بصورة حيوانية حيث تذكر أنه كان شديد الولع بالنساء، وإن ليلى العامريْة كانت أجمل واملح النساء في حيها وإن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى بها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان.

ونحن لا نمانع أن تكون ليلى جميلة، وأن تكون بصيرة بالأدب والشعر ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وكان فتيان بني عامر يجلسون إلى ليلى ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون إليها، ولم يكن في بني عامر فتى أحب إليها ولا أكرم عليها منه.

نحن لا نمانع في كل ذلك ولكن أن يصور قيس بأنه زير نساء ولوع بالمرأة فالغزارة الأولى لأشعاره تجعلنا نعرف أن الرجل يعرف الحب الصاعق والعاطفة الجياشة النبيلة، يعشق ليلى عشقاً فيه السمو والنقاء، يجعلنا ذلك نؤكد أن الرجل لم يكن حيواناً أو شهوانياً بأي حالٍ من الأحوال.

13 حبيك: أي حبي لك، التليد: الموروث، نزيع: خالٍ.

14 لحاني: لامني العاذلات بحب ليلى، أُجِنٌ (بضم الهمزة، وكسر الجيم، وضم النون وتشديدها) أخفي، وصديع: على وزن فعيل، من صدع بالحق إذا تكلم به.

15 الدهر هو الزمن، والصفا: جمع صفاة وهي الصخر أو موضع في مكة المكرمة، ويندى: يجود أو يسخو، ويشعب: يتفرق.

16 مائقاً: أسم فاعل من مَأَق وهو الفواق وسط شدة النشيج.

17 الأتراب: الأصدقاء والأصحاب والمعنى: تعلقتها وهي ما تزال صغيرة.

18 في نسخة (إليّ اليوم تكبر ولم تكبر البهمُ) والصواب المقبول (لم تكبر ولم تكبر البهمُ) وهو ما أثبتناه في الأبيات.

19 أورد الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني قصة هذين البيتين وخلاصتها أن ليلى أرادت أن تختبر حب قيس لها فأظهرت اهتمامها آخر، فامتنع لون قيس واغشي عليه فعرفت بحبه المكتوم، وقالت البيتين تؤكد له حبها أيضاً. ومعنى ذلك أنّ الحبّ لم يكنْ من طرفٍ واحد كما يزعم بعض الباحثين.

20 سمع البيتين السابقين.

21 سقط في حالة إغماء شديدة.

22 فلما انتبه وأفاق من الإغماء.

23 قتيل بسبب الحب الشديد الذي يملك أقطار نفسه، ويسأل قيس، وأي فتى من الفتيان خالٍ من علة الحب، سالم منه.

24 التقاليد العربية ترفض بشدة أن يأتي شاعر أو محب بسيرة محبوبته قبل أن يتزوج بها.

وعلم جلساء ليلى وقيس ما بينهما من حب نقي طاهر، فأخبروا أهلها فمنعوها الخروج عنه وعن سائر الناس، وقدموا أمره إلى السلطان الذي أهدر دمه إن هو زارها. أو اقترب من حبها.

25 شاع أمر قصة الحب بين ليلى وقيس، فقام أهل قيس بزيارة المهدي والد ليلى وسألوه بصلة الرحم والقرابة أن يزوج قيس من ليلى، ولكن والد ليلى أصر على موقفه.

واقترح انس على والد المجنون أن يصحبه الى زيارة بيت الله الحرام لعل المولى سبحانه يعافيه، وتعلق قيس بأستار الكعبة طالباً من الله أن يمن عليه بليلى ويقربها له، ولكن الأب ضربه على صدره قائلاً له: قل اللهم ارحني من ليلى وحبها.

26 في نسخة "لا تُسْلني" وهنا كسرفي الوزن.

27 في نسخة "كي تمحا عنها ذنوبها" وهنا كسر في الوزن.

28 شبه قيس الفراق بحجرٍ يقدح بآلة فيتطاير الشرر منه.

29 الدلحاء هي السحابة دائمة القطر، دائمة المطر، وهي كناية عن عينه الدامعة دائماً.

30 الصبا: هي ريح تهب من جهة الشمال، وضح: ضوء.

31 سارية القطا: الطير المسافر بالليل، غادية الكدر: الطيور الملونة الآتية في الصباح الباكر.

32 المطوقة. الحمامة، فنن الغصن، السّدر شجر الر.

33 اغطوطش: اشد سواده، الغربيب: هو الغراب الشديد السواد.

34 خب: سار سيراً، ذعلب: الناقة، الأذى: موج البحر.

35 قلاص: جمع قلوص وهي الناقة، تؤم: تقصد، البيت يعني بيت الله الحرام، البلد القفر: مكة المكرمة.

36 ذرّ: تفرق وانتشر، شارق: أي الشمس، خب: سار، آل: سراب، معلمة قفرٍ: صحراء قاحلة جرداء.

37 كأنما الزمان يسوق مجنون ليلى، وكأنه ناقة تساق، مستعطل الناب والظفر: ليس له ناب ولا ظفر.

38 اناخ هوى ليلى: ضبه المجنون هوى ليلى العامرية بناقة جثمت على صدره.

وفي نسخة "فإذا به" والصواب ما أثبتناه.

39 (عويرضتي): عوارضة وقبا اسمان لجبلين لبني فزارة (راجع الأغاني).

40 الأقحوان: البابونج وهو نبت طيب الرائحة، ورقه أبيض ووسطه أصفر، ثرى جعد: تراب ندٍ.

41 التيل: اسم جبل في نجد، وتدوما: في نسخة "يدوما".

42 علويات الرياح: الرياح التي تهب من العالية وهو اسم لموضع بين نجد وتهامة.

43 اللمة بالكسر: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، لاحق الإطلين: ضامر، المتنان: جنبا الظهر، رهي كناية عن الخيل العربي الأصيل، منذلق الوخد: أي سريع واسع الخطى يقال جمل وآخذ أي وسع الخطا.

44 في نسخة "هجعة"، والهجعة: العدد الكبير من الإبل يسير معاً، وهدٍ: الأرض السهلة.

45 في نسخة "أقاربي".

46 في نسخة "رَجْلانَ" بفتح الراء، وتسكين الجيم، وفتح النون - أي سائراً على الأقدام.

47 دنفاً: مريضاً مرضاً ملازماً والفتى هو قيس الذي أمسى من الصبر عارياً أي نفد صبره.

48 سيطا: أي تكونا بامتزاجهما واختلاطهما.

49 في نسخة "لو صحّ القلب" والصواب ما أثبتناه.

50 في نسخة "اقرأ" بالألف والصواب "اقر السلام على ليلى".

51 نجيبة: ناقة، والنجيب والنجيبة كناية واضحة عن قيس ومحبوبته ليلى العامرية.

52 الكثيب على وزن فعيل وهو مجتمع الرمل، الحمى بكسر الحاء هو الجار أو كل ما يجب حمايته.

53 في نسخة وجدتها "اسلُ" فعل أمر وهو الأصح وقد تركنا "اسلو" لأنها رواية الوالبي.

54 شرب على القذى: أي شرب مرغماً.

55 أزْوَزُ: منحرف مبتعد، هيوب على وزن فعول وهي صيغة مبالغة من الفعل (هاب).

56 إنهدوا أي انهضوا واتركوني، كلاءة من الله: حفظ من الله.

57 براني: سلاني، رضوي: اسم جبل، ثبير: اسم جبل، رمساً: قبراً، سافياً: تراباً.

58 في نسخة "فاشهدوا بالرحمن. . ." والأقرب للصواب ما أَثبتناه.

59 لحا الله أقواماً: دعاء ومعناهُ لعنَ الله أَقواماً وهو دعاء مشهور عليهم، النأيُ: البعد، الصب: شديد الغرام.

60 يخاطب ليلى بأسلوب رقيق فيصفها بأنها معذبته التي أوردته مهل الهلاك، وأخلفت ظنه، واخترمت وصاله.

والمنهل: حوض الشرب.

والردى: الموت أو الهلاك.

واخترمت وصاليا: قطعته.

61 المحاجر هي العيون، والخلف: ولد الغزال، والحبائل هي شباك، والقانص: الصياد.

62 خله أي أطلق سراحه، وقلائص جمع على وزن فعائل، ومفردها القلوص وهي الشابة من النوق.

63 قرأتها في نسخة من ديوان مجنون ليلى: "يبكون من حَرِّ" بدلًا من "يبلون من حَرِّ". والهمود هو انطفاء وسكون.

64 قرمت إلى اللحِم: اشتد اشتهائي إلى اللحم.

65 في الأغاني للأصفهاني:

تكاد بلاد الله يا أم مالك ... بما رحبت يوماً عليّ تضيق

بدلا من:

وكاد بلاد الله يا أم مالك ... بما رحبت منكم عليّ تضيق

وأم مالك كنية ليلى العامرية محبوبة قيس بن الملوح وكثيراً ما كان يناديها بهذه الكنية.

66 تنسل من الفعل انسل بمعنى خرج، والتلاع على وزن الفعال، وهي جمع تلعة: ما ارتفع من الأرض وانخفض.

67 خلالا: فعالاً جمع خلة وهي الصفة، نشوز: بروز وارتفاع، خمش بمعنى خدش، والكراع هو في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس والبعير. وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع (أكرع) ثم (أكارع). وفي المثل: أعطي العبد (كراعاً) فطلب ذراعاً لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل. و(الكراع) اسم يجمع الخيل. والفعل منها (كرع) في الماء تناوله بفيه من موضعِه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإباء وبابه خضع، وفيه لغة أخرى من باب فهم.

68 قوائمك مفردها (قائم) اسم فاعل، ومعناها سيقانك، والكبول على وزن فعول: جمع كبل وهو القيد.

69 (عز) مرخمة حذف منها حرف التاء المربوطة، والمقصود بها (عزة) محبوبة كثير بن عبد الرحمن الشاعر الأموي وشاعر الغزل العذري المعروف.

70 تمهل أي تدمع.

71 واكف أي غزير.

72 هو جرير بن عطية من قبيلة يربوع وهي فرع من مضر، كان مولده في اليمامة وهي مدينة الرياض السعودية الآن، ولد في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث. نشأ جرير فقيراً يرعى الغنم، ولكنه كان موهوباً في الشعر الذي ورثه - كما يقال - عن أبيه وجده. وقد ظهر في عصر سياسي وأدبي فاشتعلت عبقريته وصار في الصفوف الأولى من شعراء ذلك العصر، واتصل بالحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بين أمية، وعن طريقه مدح خلفاء بني أمية ونال جوائزهم، وكانت وفاته سنة 110 هـ. وجرير من شعراء النقائض، وهو خصم الفرزدق اللدود.

73 قنوان، مفردها قنو، ومعناها فروع.

74 رحل من جراد: سرب من جراد.

75 زغبات: الزغب بفتحتين الشعيرات.

والعكن جمع عُكنة وهي الطية من البطن.

76 وصِبٌ: صيغة مبالغة من واصب بمعنى مريض.

77 مطرب على وزن مفعل، مكان يكون فيه طرب.

78 الحين (بفتح حرف الحاء) هو الهلاك.

الجزع ضد الصبر.

مريع: مخيف.

79 الركايا: جمع ركوة وهي الحفرة التي للماء.

80 تركتها إلى مكانٍ آخر.

81 القساطل: الأتربة الكثيرة.

82 مكان متهدم: أو أماكن للسكن متهدمة.

83 طوى مثلوم: بئر مطوي مهدوم.

84 الركيات: هي الحفر التي يتجمع فيها الماء.

الرسيس: اسم موضع.

85 مَحْلٌ: جدب وبس الأرض.

عيون: المقصود بها عيون الماء.

86 أجنتُنّ: تغير لون ماؤكن وطعمه.

فانصاحت: تصدعت ويبست.

اللوى: اسم موضع أو متقطع الرمل.

87 الذرائع: جمع ذريعة وهي الوسيلة.

الحثوم: على وزن فعول، جمع حثمة وهي الربوة، وقد يكون اسم موضع.

88 الصبا: ريح.

ألوازه: جمع لوزة وهي ثمر شجر ينمو في المناطق المعتدلة.

89 سقياً لظلك: دعاء له بأن يكون دائم السقيا، حمم: ساخنة.

90 الخرائد: جمع خريدة وهي العذراء.

91 الحقاق: جمع حُقّ وهي الآنية الصغيرة.

92 الأرشية: جمع رشاء، وهو الحبل.

والدلاء: جمع دلو.

93 خرد: عذراء.

سود: يغلب عليها السواد.

عصل: غير واضحة الرؤية.

94 برادي: قد يكون نبات البردي الذي ينمو على ضفاف الأنهار، ويصنع منه الحصر، وكان قدماء المصريين يصنعون منه الورق.

95 رعابيب: على وزن فعاليل، وهي جمع (رعبيب) على وزن (فعليل) بمعنى خائف أو مرتعد.

ريشت: حليت بريش مثل السهم، وكان المحاربون قديماً يحفظون توازن السهم بريشة أو بريش وكثيراً ما ذكر ذلك في شعر الفروسية.

الفتور: الوهن أو الضعف وتأتي في البيت بمعنى الخجل.

96 القود: بفتحتين هو القصاص.

عقل: دية.

97 ظهر وبان.

98 طرقتني: زارتني أو تذكرنها ليلًا.

الخشف: ولد الغزال.

الكري: النوم.

99 ذات الشرى: اسم موضع.

100 رهين: متعلق أو أسير.

الحجال: الخلاخيل.

101 جنوب: ريح الجنوب.

102 فضول الرقم: ما تبقى من الكتابة وآثارها.

الأدم: بفتحتين وضمتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ.

103 غر السحاب: السحاب الأبيض.

تروق: تصفو.

104 الدعص. الرمل أو الكثب المجتمع.

وعث: رمل دقيق ناعم تغوص فيه القدم.

105 ضارة والحمى: اسمان لموضعين.

المدجنات: السحاب الممطر.

الرشف: اسم موضع.

106 ارعوى: انتهى وامتنع.

107 الماتحين: جبل.

ربيب: أي تربى ونشأ فيه وهي على وزن فعيل.

108 من الممكن أن يكون نوام الرعاة.

109 إقتار: قلة الماء.

110 مطلخة على وزن مفعلة، من الطلخ: هوما يبقى في قاع الحوض، ويكون اسود اللون، والمقصود أنها سوداء الشعر.

الذرا: الرأس أو الشعر.

مرجرجة: كثيرة الاهتزاز.

مهفهفة: ضامرة نحيلة.

111 مبتلة: من بتل الشيء إذا أبانه من غيره، والمعنى انها ظاهرة بارزة.

هيفاء: طويلة.

موردة الخدين: خداها بلون الورد.

مهضومة الحشا: ليس لها بطن بارز.

112 يستَنٌ: يرعى العشب.

مدّهُ: أي أمده بماءٍ.

رضق الصخر: الصخور المحماة المشعلة.

113 مدملجة الساقين: ممتلئة الساقين.

بضة بضيضة: بيضاء.

مفلجة الأنياب: الفلج في الأسنان هو التباعد بينها ويعتبر من علامات جمال المرأة.

الخمر: الخمار.

مصقولة: سميكة.

114 مطوقة: أي عليها طوق.

خطامها: الخطام هو زمام الفرس أو أثر الطوق هنا.

115 تغنت

116 نظر إليه وتأمله.

117 سجالاً: أي كماء السجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء.

الهتان: المطر المنقطع.

الوبل: المطر المتواصل.

ديمة: مطر دائم.

سحاً: يقال للمطر والدموع إذا سالت بكثرة.

تسجاماً: من سجم الدمع إذا سال.

هملان: من هملت عيناه إذا فاضت من كثرة البكاء.

118 مكان أهله.

119 فوهاء: واسعة الفم قبيحة.

120 سهلة: شهل العين، أن يشوب سوادها زرقة وهو من علامات القبح.

121 جاحظة: بارزة العينين.

سولها: مخففة سؤلها أي كل ما تسأله.

122 مور: متّقد.

123 عرابية: نسبة إلى قبيلة أو إلى العرب.

الفرعين: أي من جهة الأب والأم أو كناية عن ضفيرتي الشعر.

السنا: الضوء الشديد.

124 قرأتها في نسخة للديوان "رزيح العقل"، بمعنى ضعيف العقل.

والذراريح جمعها، وهو نوع من السموم والمعنى يكون: مريض العقل مسمماً بالأفكار.

125 جماعة.

126 وجدوا المجون.

127 الخنا: الفحش.

يقذف: متهم بالزنا.

الخود الحِصان: العذارى الشريفات.

128 جمرت: أي رمت الجمار.

الإفاضة: الإفاضة من عرفات.

النحر: من شعائر الحج.

كُلٍّ ملبّ: في رواية الوالبي كسر في وزن البيت.

129 الفحش: الفحش والزنا.

تسري: أي تسلل ليلاً لتلقى عشيقها.

130 برهرهة: البرهرهة المرأة البيضاء الشابة الناعمة الملمس.

الخدر: الخيمة.

131 مرّان: جبل.

قلوص: ناقة، بكر، من الإبل.

132 البعران: البعير يشمل الجمل والناقة.

صبابة: غراماً بصاحبتها.

النشر: الرائحة الزكية.

133 مفلجة الأنياب: متباعدة ما بين الأسنان وهو من علامات الحسن.

134 الخزامى: نبت طيب الرائحة، والتبخر به يذهب كل رائحة منتنة، وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد.

قرقرى: اسم موضع.

135 ماء الحجيلاء: الماء الذي لا تصيبه الشمس.

136 المقيل: موقع القيلولة، وهو نوم منتصف النهار.

137 أثلاث القاع، وتوضح: موضع من الارض قرقري الخصبة.

138 الطروق: الزيارة ليلاً، وهي على وزن فعول - ومنها الطارق: على وزن فاعل، وفعلها (طرق).

139 موهن: منتصف الليل، عرفه: رائحته الطيبة.

رامة حزوى: اسم موضع.

140 الليالي الغوائر: الليالي السالفة.

141 عازبة: بعيدة.

رائم: من رام.

142 اللجوج هو المتمادي في خصومته.

المعزّل: المعاتب.

طلاب: طلب.

143 ذئب السوء: الذئب اللئيم.

البهم: صغار الماعز والخراف.

غرثان: جائع.

مرمل: جائع، معدم، لا زاد له.

144 العيس: الإبل جمع أعيس.

تهري: تمضي مسرعة.

المنيفة والضمار: اسمان لموضعين بالجزيرة العربية.

145 شميم: شم.

عرار: نبت طيب الريح.

146 ريا: اسم جبل ببلاد بني عامر.

غب: الغب في السقيا يوماً بعد يوم.

القطار: هو السحاب الممطر.

147 زارٍ: عاتب ولائم.

148 سرار: أي آخر ليلة من الشهر. والمعنى أنه لا يشعر بمرور الأشهر لا في منتصفها ولا آخر لياليها.

149 مضرجاً: ملطخاً بالدم - والمعنى هنا احمر اللون.

جمّشَتْهُ العين: غازلته.

150 الغنج: من تدلل النساء المثير.

وابتسامهن دراً: يقصد الأسنان.

مفلجاً: بين اسنانه مسافات وهو من علامات الجمال.

151 ترقرق: تناسل.

الأثمد: الكحل.

152 خود: حسنة الخلق رقيقته.

تكلم: تتكلم.

تقصد: تقتصد في الكلام.

153 صاديات: عطشى، جمن: استرحن وذهب إعياؤهن.

الورد: إتيان الماء.

حوان: جمع حائنة أي هالكة.

154 حباب الماء: بالفتح أي معظم الماء وقيل نفاخاته التي تعلوه راجع مختار الصحاح.

روان: من رنا إلى الشيء إذا أدام النظر إليه.

السقاء: صرت انسكاب الماء من القربة.

155 ذراني: اتركانى.

156 الدموع.

157 مغزل: أم الغزال.

أدماء: الماثلة إلى البياض.

نُهى: غدير به ماء.

عرار: نبت طب الريح.

خلب: السحاب الخادع الذي لا ماء فيه.

158 أم فرقد: الفرقد هو ولد البقرة.

غضيضة الطرف: تغضه حياءً.

ربرب: قطيع من بقر الوحش.

159 قطامي: الصقر طائر من الكواسر يشبه النسر.

عرقب: الطريق الضيق.

160 زهاءها: شبهها.

الأثل: شجر، واحدته (أثلة).

الأثلب: بالفتح والكسر هو التراب أو الحجارة.

جفن السيف: غمده.

161 المحصب هو موضع الجمار بمنى المُشْرِفَةِ.

162 ثبير: اسم جبل.

المعصب: الذي لف رأسه بعصابة.

163 المومأة: الصحراء.

الطليح: البعير المهزول.

164 نعمان: اسم جبل.

كبكب: منكبات.

165 الدمقس: نسيج فاخر، كالقز أو الكتان.

هداب: خيط رقيق.

موشوم: عليه وشم وهو يصف هنا يدها.

166 يمتارون: يطلبون طعاما.

167 أسجم: أسال دمعها.

عُرباها: ماؤها الجاري.

سجومها: انسكاب دمعها.

168 قذيت عني: سقط فيها ما ليس منها.

القذى: ما يسقط في العين.

شومها: شؤمها وضدها يمنها أي ضررها وأذاها.

169 العصابة: بكسر العين القطعة من القماش تلف على الجرح.

رميمها: الأجزاء المتبقية منها.

170 الأبرق: كثيب به حجارة، ورمل وطين مختلطة، الفرد: الوحيد.

171 ورقاء: حمامة.

الرّند: نبت طيب الرائحة ينمو في البادية العربية.

172 لبانة: حاجة.

تهامية: نسبة إلى تهامة العربية.

173 في نسخة أخرى من ديوان المجنون، وجدت البيت على هذا النحو:

أحن إلى نجدٍ فيا ليت أنني سقيت على سلوانهِ من هوى نجدِ

174 أي تقرئك السلام أو تقرأ عليك السلام.

175 ساغها: حلا لها، وطاب.

النمير: الماء النقي، الصافي.

176 الحدجات: جمع حدج بالكسر وهو المحفة التي تركبها النساء.

ذي سلم: اسم لموضع.

جادكن: أمطركن.

177 جرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئا.

لعمري: قسم بمعنى أقسم بعمري.

178 أجواز: جمع جوز، أرض بها أشجار.

البدي: بجوزاتها من البادية.

يزيغ: لقاح.

179 نفس شعاع: أنفس قلقة متفرقة.

جميع: أي نفس هادئة مجتمعة العناصر وهي عكس الأولى.

180 عوجا: فعل أمر من (عاج) بالمكان إذا قام به.

181 تصرم: انقطع الحبل، والحبل: كناية عن الوصل.

182 عالم اللغة والأدب وراويتهما من نحاة الكوفة المشهود لهم بالعلم والثقة والدراية، توفي سنة 210 هـ، وفي رواية أخرى 206 هـ.

183 تؤكد الشواهد أن أبا بكر الوالبي راوية ديوان مجنون ليلى أو بمعنى آخر جامعه ومُرتبه سمع أبا عمر الشيباني ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري. راجع مقدمة تحقيق للديوان.

184 أراعي: أنظر وأراقب.

الفرقدان: نجمان قريبان من القطب.

الثريا: النجوم.

185 علقت: أحببت.

186 الحب الشديد.

187 سوائي: أي شخص آخر سواء من فرط تغير حالي.

188 هيوباً: خائفة وجلة.

النسا: مخففة من النساء صويحباتها.

189 يمشي الوجى: يمشي حافي القدمين.

190 لا يهتم بأي شيء مهما كان.

191 يفسخ: ينقطع، وينفصل عنوة.

192 فوّق: صوّب نحو الأعلى.

تفرخ: تضع فراخا وهي صغار الطير.

193 منفراً: مبعداً.

يرضخ: يداس عليه.

194 الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

تقيض: تهيأ وظهر.

195 ابنُ دأبةَ: كناية عن الغراب.

الشبائك: على وزن فعائل، وهي شباك الصياد.

196 رائعي: مفزعي.

بينونة: فراق، هجر، بعد.

فارك: من فرك الثوب أو السنبل إذا افتته.

197 الأفرخ السوء: صغار الطير الملاعين، عن قلى: عن كراهبة وعن بغض.

الضروس: على وزن فعول، وهي صيغة بالغة أي شديد.

المماحك: المبغض.

198 الشنحاج: صوت الغراب.

199 قرقار: ترديد الصوت.

والهدير صوت الماء القوي عندما ينزل من شلالٍ أو جدول أو نهر أو غيره. وقد شرحها البعض على أنها صوت الحمام وهذا خطأ بين لأنَّ صوت الحمام يسمى (هديلًا) وليس (هديراً).

والمدام: الخمر أو اسم من أسماء الخمر.

200 محلك: المحل الإجداب، ومعناه انقطاع المطر ويباس الأرض.

السلامى: العظام.

201 أحل: امتنع واتخلص.

العقال على وزن فعال وهو الأسر.

202 ممحلين على وزن مفعلين، أي متروكة مهملة، لا يلتفت إليها.

203 صبوتي: ميلي وافتتاني.

فتور: ضعف، هدوء.

204 مقيل: من قال، يقيل، إذا استراح.

الظباة: جمع ظبة وهي حد السيف.

205 معطفة: مائلة، أو متمايلة.

206 صحل صوته: أي بح صوته.

207 يسعدنها: عادة جاهلية وهي اجتماع النسوة لمساعدة إحداهن، وعادة ما يكون ذلك في الجنازة بالعديد والبكاء والعويل وهذه العادات تنتشر بالذات في القرى والأحياء الشعبية العربية، وهذا بالطبع لا يتفق بأيِ حالٍ من الأحوال مع القيم والمبادئ الإسلامية فكما علمنا الإسلام ورسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - : ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية الأولى. والمساعدة تكون في الأفراح أيضاً بتقديم التهاني والمعاونة في الأعمال التي يتطلبها الفرح.

ولا مانع في المساعدة في المآتم بقديم التعازي وغالباً ما يخون أهل المتوفى في شغلٍ شاغلٍ لذلك يسارع الجيران بتقديم الطعام للمعزين ولأهل المتوفى، وذلك سلوك حميدٍ ما زلنا نجده في قرانا العربية - الذي نشجبه ونرفضه العويل وأي نوعٍ من

المبالغة في الحزن أوفي الفرح فهما وجها الحياة يوم نفرح، ويوم نحزن، ولا شيء يدوم على حالٍ، ودائن تدان كما يقولون.

208 جزع من الوادي: منطقة منه.

أثل: شجرة.

سدير: نبت.

209 الكليبيات: موضع.

تجور: تبتعد.

210 دلج السرى: السير في الظلام ليلًا.

وجون القطا: الطير، اسود البطن.

جثوم: راقدات.

211 الجون: الشديد السواد.

منقبي: عودتي.

212 من نحوها: من جهتها.

يستن: يذهب.

213 أتضيف: أُطعم.

الأراوي: جمع أروية وهو غنم البرية.

214 أراكة: مجتمع شجر الأراك والذي نأخذ منه السواك.

215 يرتعي: يأكل.

216 الذر: صغار النمل.

217 البهر: انقطاع النفس من كثرة الإعياء.

218 يثلمها: يعيبها.

219 خدر: جمع أخدر وهو الضعيف.

الرهائم: الأمطار.

الوسمي: أول أمطار الربيع.

220 خازل: منتصف الظهر.

مرعو: عائد.

العفر: جمع أعفر، وهو نوع من الظباء.

221 خوص العيون: غائرات العيون.

غزر: ضيقه.

222 أي ويمين الله - قسم.

223 في أعلى مرتفع من المرتفعات - فاقترب منه.

224 الصوى: جمع صوة، وهي الصخور.

225 يتهيض: يحطم.

226 يريم: يبرح وينقطع.

227 شرف: مكان مرتفع.

228 شرف: مكان عالٍ (والمقصود هنا أنه يلقي بنفسه منه).

229 تلجين: تقسين.

230 ذي الغضى: اسم لموضع.

ذيبها: طالبها أو الذئب الذي يبحث عنها.

ثنايا: جمع ثنية وهي السن.

أم عمرو: كنية أخرف لليلى العامرية محبوبة المجنون.

231 ثنية: طريق (العقبة).

يغصٌ: يمتلئ.

أعضاد: جمع عضد، وهو الساعد في الإنسان.

232 الهون: الهوان.

مطلًا: مماطلة وتسويفاً.

233 القوز: الكثيب من الرمال - ويجمع على أقواز وقيزان .

234 دون: بعد.

الرمس: تراب القبر.

منكب: الكتف.

235 العقيان: الذهب الخالص.

مفلج: متباعد ما بين الأسنان.

الظلم: بريق الأسنان وماؤها.

236 رُضاب: بضم الراء، الريق.

متونه: جمع متن وهو الظهر.

البشام: شجر طيب الريح يستاك به.

قضيب: غصن أو سواك.

237 عليا: علياء وهي مكان عالٍ.

تسامى: ارتفع.

238 الغضى: شجر أو موضع به شجر.

239 مؤصد: فناء.

240 كيداء: هي الرأس المكشوفة.

جلعد: لا تستتر.

241 فواد الرأس: جانباه، وغالباً ما يبدأ الشيب في الظهور من خلالهما.

242 إلى هنا ينتهي بحمد الله تعالى تحقيق كتاب "ديوان قيس بن الملوح" الشهير بـ "مجنون ليلى العامرية" مراجعاً على عدة نسخ وانتهينا منه ظهر يوم الأحد المرافق 4 من جمادى الأولى سنة 1410هـ الموافق 3 من ديسمبر (كانون الأول) سنة 1989م والله العلي العزيز ولي التوفيق.

الفـــهـــرس

مفتتح
مدخل
أشهر غرام في التاريخ
بين يدي الديوان
حكاية رجل اسمه "الوالبي"!!
ديوان مجنون
بسم الله الرحمن الرحيم
بداية الحب
الأغماءُ حباً
المهدي يرفض
باسم ليلى
نار الأسى
هوى ليلى
الحب قاتل
أرض نجد
بعد النساء
سلام على ليلى
إلى الواديين
إلى بابل
دعوني
من صحراء بني تميم
قيس في منظور العشاق

جرير يتكلم
ياركيات الرسيس
عفا الله عن ليلى
مودة الحبيب
العلوي يقول:
البرق يلوح
عاشق ذو صبابة
يا موقد النار
طير يتحلق
جبل ثوبان
الواشون
شبه ليلى
لا تتهكموا
يا عقاب الوكر
صبراً
أبيات ونغمات
أبو عيسى يقول:
أيها القلب
أيا جبلي نعمان
الشوق
أيا هجر ليلى
توحش المجنون
حكاية الناس
وتذكر ليلى
طبيبان

أيها الراكب
ما شجاني
دموع العين
قاتل الله الهوى
على ذمتي دار لليلى
أيها الشيخ
مقام الشمس
قوى النفس
توعدني قومي
ثلاثون يوماً
أحن إلى ليلى
يا طبيب الجن
يا ناعيي ليلى
إلى قبر ليلى
هبوني امرأ
لاحت نار ليلى
لحى الله أقواماً
ابتلاني بحبها
أحبها
ياحمامة
أيها الركب اليمانون
يقتل المرءِ نفسه
كل امرئ للموت شارب
خاتمة